شاعر المنارة

مخلد بن بكار الموصلي

١٧٠ هـ - ٢٣٢ هـ

محمود الجومرد

مطبعة المعارف - بغداد
١٩٧٧

من التراث

شاعر المنارة

مخلد بن بكار الموصلي

١٧٠ هـ - ٢٣٢ هـ

محمود الجومرد

الطبعـــة الاولى

مطبعة المعارف - بغداد
١٩٧٧

تقـــــديم

للدكتور أكرم فاضل

بعد فراغي من قراءة كتـــاب (مَـخْـلَدُ بنُ بَـكّـار الموصلي) تذكرت قصيدتين للصافي النجفي حاول فيهما أن يدلّل على أن الشعراء المشهورين ليسوا بأفضل الشعراء . وما كدت أغوص في هــذه السانحة حتى وردت سانحة أخرى ، وهي قولة : جاك بيرك في كتابه (العرب) [إن على العرب أن يحيوا تراثهم ، ولكن هـل كل تراثهم ؟... يجيب المؤلف : كلا ، إذ هنـاك تراث يجب طمره والى الأبد] . ولكن ما فيصل التفرقة بين نقيضي هذا التراث ومن هو الحكم ؟ هل الفرد ، وما اكثر ما يجور ، أم الجماعة ؟ . وهنـــا تجرّنا الديموقراطية جراً الى التصويت بالأكثرية أو بالإجماع ، وهنا كذلك ديار الورطة والحيرة .

أمـــا أنا فاري نشر التراث بقضّه وقضيضه ، وذلك لأنه سلسلة لا يصح بترُ حلقة من حلقـاتها . أما المستفيد فهو الباحث ، وهو الذي يختار ما نحلو له أو ما يحتاج اليه .

لذلك أكبرت جهد الأستاذ محمود الجومرد في تقصّيه أخبار مخلد ، فشعره لم يُضبط ضبطاً صحيحاً حتى اليوم ، نظراً لأن المصادر كلهـا

مغلوطة ، ولا يمكن والحالة هذه مضاهاة الغلط بالغلط :

أعمى يقود بصيراً ؟ لا أباً لكمو

قد ضلّ من كانت العُميان تهديه

ولكن الجومرد الأديب الصامد يبرز علينا بدراسة متكاملة . التوطئة وطّأت أكناف الموضوع وأزالت بعض وحشتنا منه ، وعلمتنا ما لم نكن نعلم ، وقد التذذت باللمحات الموازنة التي رسم خطوطها العريضة ، ثم هو يتتبع حركات الشاعر منذ صباه ويدرس بيئته ، ويجلو لنا أن الهجاء نقدٌ إذا خلا من الإفحاش ، بل الهجاء أحياناً فلسفة ، وشاهدي المتنبيء في هجاء إبن كيغلغ ، فالمطلع حكمة ، وبعد أبيات نقع في جُبّ الإقذاع ، ثم يعود الشاعر الى عقله فيتفلسف مجدّداً ، وهكذا ... ويخبرنا الأستاذ كذلك أن الهجاء رفع الخمول عن بعض الشعراء ، ومنهم مخلد ... كل هذا صحيح .

وما دام أن الشاعر إشتهر لتعرّضه لشاعر آخر عملاق هو أبو تمام ، فالمؤلف يقصّ علينا قصة هذه الخصومة بصورة شائقة ، ولا ينسى أن يعرض علينا الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والادبية التي كانت سائدة آنذاك ، مَثله مَثل كل باحث يشعر بالمسؤولية المعاصرة .

وهنا أيضاً لا نستوحش وهو ياخذ بأيدينا الى مشهد معركة بين القبائل اليمانية والنِزارية في (الميدان) . ولا يزال الميدان ميداناً في الموصل ولا يزال احفاد اليمانية والنزارية احياء يرزقون .

والحقيقة أنني لم أملّ من قراءة هذا المجهود ، فقد حرص المؤلف على جعله سلساً سائغاً معقولاً بعيداً عن التمحُّلات ، ولكني اشفقت

عليه من قلّة المصادر وتخبّطها . ولعل من حسنات الكتاب الأخرى هذه الشروح المستفيضة وهذه الجمهرة الحاشدة من شعر الشاعر ، وربما كانت كل شعر هذا الشاعر المتوتر الأعصاب .

وبعد ، فالأستاذ محمود الجومرد من المؤلفين الذين يتّصفون بالأناة وإعمال الرويّة ، ولهذه العلة الحسنة فمؤلفاته قليلة ، ولكنها محكمة البناء . وكم كنت أتمنى لو قُدّر لهذا الشعر أن يحظى بالصيغة الصحيحة النهائية ، ولكن كما يقول أصحاب القانون « لا إلتزام بمستحيل » .

مقـــــدمة

مَخْلَدٌ الموصلي ، شاعر مغمور مظلوم ، رقيق الحس ، لا يسكت على خطأ أو ظلم ، ولا يلتزم بشيء اذا ما وجد الأمر يجري على غير طبيعته وسُننه ، يتألم لفقد الرجال الفرسان الشجعان فيرثي بقلب موجع ونفس حزينة ، ويهتز لاعمالهم فيمدح ، ويسخر من الخارجين على خلق الرجال فيثور ويهجو عابثاً ساخراً ، ويبتهج بجمال الانسان والطبيعة فيصف ويشتاق ويتغزل . وقد لقّبته بـ (شاعر المَنارة) لحادث طريف ظريف وقع منه ، آثرت أن يكون عالقاً به معروفاً عنه .

ظلمه مؤرخو الأدب وجامعو الشعر واهملوه ، لأنه لم يتكسّب بشعره فيخدم ذوي الجاه والسلطان ، ولم يجتمع في مجالس اللهو والطرب والشراب فيلهو ويعبث ويمدح ويختلق الصور الخلّابة ويتفنن في الوصف كذباً وبهتاناً .

ضاع اسمه بين الشعراء حتى لم يعرفه ولم يسمع به خاصة الادباء من ابناء بلده الموصل ، ومع هذا كنت تجده في زوايا كتب نُقّاد الادب القدامى دائماً في موضع الجودة والثناء والاستحسان . ومخلدٌ الموصلي من اوائل من نظم شعر الهجاء الهزلي الساخر الضاحك (الكريكاتير) الخالي من الشتائم والفحش والحقد ، ولعله كان اظرفهم هزلاً وسخرية

وفناً لو انصفه النقّاد . ولا ادري من قال : إن الجوهر لو وضعت عليه جبلاً من تراب فلسوف يلمع يوماً ما ويظهر .

ويحدثنا ابو الفرج الاصبهاني[1] ٣٥٦هـ - ٩٦٦ في كتابه (الاغاني) عن الشاعر : ربيعة الرّقي بقوله[2] [هو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريراً ، وإنما اخمل ذكره واسقطه من طبقته بُعدهُ عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عُدم مفضّلاً لشعره مقدّماً له] .

فكم من نبوغ دفن في التراب في حياته ثم ظهر بعد موته عندما استيقظ الزمن وعقل ابناؤه فمجّدوه واكرموه ؟ وكم من أديب راهب غلب عليه الحياء وعزة النفس وكرامة الرجال فانزوى ودفعه تيار الحياة وذهب مع الذاهبين ؟ ثم كان عكس هذا ، فكم من مشهور مجدود ملأ الاسماع والابصار ، ثم سار الزمن فظهر الزيف ، والزمن بصير نقّاد لا يجوز عليه زيف ولا باطل . وقديماً قالوا [اذا اقبلت الدنيا على رجل اعطته محاسن غيره واذا ادبرت سلبته محاسن نفسه] . وفي الادب العربي شعراء مشهورون وشعراء مغمورون ، وفيهم من أنتحلت لهم

---

(١) السنوات التي تعقب اسماء الاعلام هي سنوات الوفيات . وسنة وفاة الاصبهاني هي ٩٦٦م وليست ٩٧٦ كما جاء في صفحة العنوان من كتاب الاغاني - الطبعة الجديدة . راجع (جدول توفيق السنين الهجرية مع السنين المسيحية في معجم المنجد - الطبعة الخامسة - .

(٢) الاغاني جـ ١٦ ص٢٥٤. ربيعة الرقي هو ربيعة بن ثابت الانصاري، كان ينزل (الرقة) وبها مولده ومنشؤه . والرقة مدينة مشهورة على الفرات من بلاد الجزيرة ، من جانب الفرات الشرقي ، وينسب اليها جماعة من أهل العلم والأدب - معجم البلدان جـ ٣ ص ٥٩ .

القصائدالطوال وهي ليست لهم الخ ... وفي الآداب العالمية أشباه هذا .

فهـؤلاء الانكليز ملأوا الدنيـــا بشاعرهم (شكسبير) ومجّـدوه وأحاطوه بهـالة تـكاد أن تكون قدسـيّة وليست شعرية ، حتى امتلأت اسماع الناس على اختلاف اللغات والاجناس .

هذا الشاعر نشأ في مدينـــة صغيرة قبل اربعة قرون ، ولم يتلق دراسة عالية . استطاع أن يغوص في اعماق النفس الانسانية وعواطف القلب البشري ، يستوحي الحكمة ويصف حيـاة الغني والفقير والملك والصعلوك ، ويصور الاحداث التاريخية ، ويستنطق الاشخاص بلغـة شاعرية رائعـة .

ثم جاء النقّـادالانـكليز المحدَثون ، ولنستمع الىماقالوا عن شكسبير الاسطورة : نشرت مجلة Reader's Digest (المختار) بمناسبة مرور اربعـة قرون على ولادة شكسبير مقـالاً بعنوان[1] Too Many Shakespeares أي (شكسبيرون كثيرون جداً) جاء فيه [كل ملايين النصوص التي انصبت في الاتجاه السائد للحضارة الغربية ، ليس فيها من الاعمال الادبية التي تُرجمت كثيراً ، أو غالباً ما اقـتُبست واسـتُشهد بها كأعمال شكسبير وكالانجيل ... وفي هذه السنة بمناسبة مرور اربعمائة سنه على ولادة[2] شكسبير اشتدت المناقشات حول: من كتب شكسبير؟

---

(1) Reader's Digest - September 1964 P. 129
By : Dora Jane Hamblin
والمقال ملخص من مجلة (لايف)

(٢) ولد شكسبير في مدينة ستارتفورد سـنة ١٥٦٤ وانتقل الى لندن سنة ١٥٨٤ وتوفي سنة ١٦١٦ وعمره اثنتان وخمسون سنة .

فكثـــير من الدارسين الكلاسيكيين يفضلون : أنه الرجل التقليدي نفسه ـ أي شكسبير ـ ولكن ليس أقلّ من (سبعة وخمسين) شكسبيراً حقيقياً برز في نظر الهواة والباحثين المحترفين .... وإن اول مجموعة نُشرت ونسبت بوضوح الى شكسبير كان سنة ١٦٢٣م .... وكان ذلك بعد سبع سنوات من وفاة رجل يُعرف بـ (وليم شكسبير). والكتاب يشير الى أن جامعيه هما إثنان من رفاقه الممثلين ، وما من احد في ذلك الوقت ، على ما يظهر ، شك وارتياب في المؤلف .

ولكن في منتصف القرن التاسـع عشر فقط ، بدأ ـ جدّياً ـ التحدّي والمراجعـة فيما ألف شكسبير . واوائل الشاكّين يعتقدون أن[١] (فرنسس بيكون) هو وحده أو هو احد افراد[٢] جماعة كتبوا اعمال شكسبير وجعلوه قناعاً يختفون وراءه .... ومن مضمون تلك المناقشات والتي اتت بعدها ، هناك ثلاثة اسئلة :

١ ـ هل يقدر رجل واحد على سكب كل جمال وحقيقة في قصائد ومسرحيات شكسبير ؟ وكيف استطاعت حكمة حياة واحدة قصيرة الاجل أن تبرهن على صلتها الوثيقة بكل الحيَوات والعصور المتتابعة ؟

٢ ـ اذا استطاع رجل واحد ان يفعل هذا ، الم يكن هـذا رجلاً مثقفاً وممتازاً واعلى من عصره ؟ اولم يكن هـذا رجلاً قريباً من مقاعد

---

(١) فرنسس بيكون ـ ولد في لنـدن سنة ١٥٦١ وتوفي سنة ١٦٢٦ وكان سياسياً مفكراً ومن أشهر أدباء وكتاب عصره ، وقد عاصر شكسبير طوال حياته ، ولد قبله بثلاث سنين وتوفي بعده بعشر سنين .

(٢) في المقال حديث عن فرنسس بيكون ، ومارلو ، وسيروالتر رالي، وغيرهم واحتمال نسبة بعض أعمال شكسبير الى كل واحد منهم .

سلطة الحاكمين وخبيراً مطلعاً على آداب ولغات البلاد الاخرى ؟

٣ ـ هل لدينا دليل على رجل تقليدي ممثل مسرحي مولود في الريف من ستارتفورد ـ مسقط رأس شكسبير ـ له كل هذه الكفايات ؟] .

هـذا هو مثال واحد ، اطلنـا فيـــه للدلالة على ما يلاقيـه بعض المحظوظين الذين ينالون الشهرة والمجد ، حتى اذا سار الزمن وتكشّفت الحقيقة ، ربما اهتزت تلك الشهرة وانثلم ذلك المجد .

ومن سوء طالع مخلد الموصلي أنني اتحدث عنـه الآن في زمن طغى فيـــه الشعر الحديث وقد كثر ناظموه وناشروه ، وظهر العيّابون والمقلِّلون من قيمة الشعر التقليدي . وربما يرى البعض أن الحديث عن شاعر مثـل مخلد الموصلي ـ وقد مضى عليه مائتا والف سنة ـ هو عبث وإجترار ، وإحيـاء لشيء قد مات وفات وعفى عليـه الزمن . لكن مخلداً الموصلي شاعر ، لديه موهبة وفن . ومن عانى الشعر وحمل همومه ومتاعبـــه لا يرضى أن يذهب ـ هو أومن كان مثـــله ـ مع الريح كأن لم يكن .

ومن غريب ما حدث لمخلد الموصلي ، أن الذين توسّعوا في الحديث عنه همـا إثنـان :

أولهما : ابو بكر الصّولي ٣٣٥هـ ـ ٩٤٦م في كتابه (اخبار أبي تمام)

وثانيهما : ابو زكريا الازْدي الموصـلي ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م في كتابه (تاريخ الموصل) .

أما ابو بكر الصّولي فقد تحدث عن مخلد الموصلي وعلاقته بالشاعر أبي تمـام الطائي وهجائه أبا تمام ، ولم يذكـر لنـا غير شعره في الهجاء ،

لكنه[١] لتعصّبه لابي تمام كان يغمز بمخلد في كل مناسبة محاولاً الانتقاص منه ، لذلك فقد كانت لنا وقفة مع الصولي في آخر هذا الكتاب لاظهار الحقيقة كما نراها .

وأما ابو زكريا الازدي الموصلي فقد جعل كتابه (تاريخ الموصل) في ثلاثة اجزاء ، ضاع منها الجزءان : الاول والثالث ، وبفقدان الجزء الثالث ضاع علينا ما بقي من شعر مخلد ومن اخباره . ثم إن محقق الجزء الثاني من (تاريخ الموصل) لم يجد نسخة ثانية من الكتاب ولم يجد مصدراً آخر يذكر فيه شعر مخلد ليستطيع المقارنة ويضبط النص الشعري - والنسّاخ يصحّفون ويحرّفون ، وقد زادوا كلمات وحذفوا بعضها - لذلك فقد ترك المحقق كلمات كثيرة بدون شرح لغموضها ، وشرح بعضها كما يراها ، وقد لا تكون المعاني مناسبة ، ورسم كلمات بالصورة التي توافق الوزن وبقي المعنى غامضاً ، او توافق المعنى ولكن البيت مكسور . لذا ففي مثل هذه الحالات كنت انقل البيت كما جاء في الكتاب وأضع (خطآ) تحت الكلمة التي تحتاج الى شرح او تفسير ، ثم اعود الى الحاشية فأصحح ما أراه خطأ واقارن بين ما شرحه المحقق وبين ما أراه صواباً ، واترك للقارىء حرية الأختيار . واذا وجدت بيتاً مكسوراً غير موزون أقوم بتصحيحه ذاكراً (البحر) الذي هو منه . ومثال ذلك قصيدة مخلد الموصلي التي قدمها الى والي الموصل (مالك بن

---

(١) يستدل نقاد الأدب القدامى والمحدثون على تعصب الصولي لأبي تمام مما جاء في كتابه (اخبار أبي تمام) ومن الرسالة التي كتبها الصولي الى أبي الليث مزاحم بن فاتك ، وقد جعلها محققو الكتاب في المقدمة عند طبعه كمدخل الى الكتاب ومقدمة له .

طوق) يشكو فيها مظلمته ، فقد جاءت مضطربة ، فيها اخطاء مطبعيه لم تصحح ، وكلمات غريبة لم تشرح وابيات مكسورة غير موزونة لم يقوّم وزنها ، وقد آثرت أن اجتهد في كل هذا على أن اتركها على حالها وليس في الترك فائدة . وقد اجتاح كل هذا الى بعض الاطالة احياناً في الشرح .

وفي الحديث عن الشاعر ـ كل شاعر ـ لابد من توضيح نشأته وظروفه والحياة التي عاشها ، ومجتمعه الذي نشأ فيه ، والاحداث التي مرت به ، والتجارب التي عاناها ، وكل ما أثّر فيه فكوّن شخصيته وذوقه ومزاجه وثقافته . وقد قمت بكل هذا بما لدي من مصادر ، ولو كانت محدودة .

ثم حاولت في قصائد المدح والرثاء والهجاء أن اشرح حالة الممدوح والمرثيّ والمهجو لتكون الصورة واضحة ، وليطلع القارىء على مدى صدق الشاعر فيما يقول ، لأن القصيدة تفقد معناها وقيمتها اذا كانت لمجهول لا يعرف القارىء عنه شيئاً . ورجعت الى آراء نقّاد الادب القدامى في المدح والرثاء ، انقلها عنهم ليأخذ القارىء بموازينهم في عصورهم لا بموازيننا في هذا العصر ، في الحكم على شعر مخلد .

وتوسعت في فن الهجاء وذكر آراء النقّاد القدامى والمحدثين في هذا الفن ، لأن الهجاء نقد ، اذا خلا من الفحش والشتائم والحقد ، ولأن الشاعر الهجّاء رجل نقّاد في رأسه مثل أعلى اذا لم يبتعد عن سواء السبيل .

ومخلدٌ الموصلي شاعر فنان في هجائه أبا تمام الطائي ، وقد اعترف

بفنه أبو بكر الصولي على الرغم من تعصبه لأبي تمـــام وهجومه على خصومه ونقّـاده .

وهجاء مخلد ـ عـــدا قطعة واحدة ـ بعيد عن الفحش ، لطيف ظريف ، فيه دعابة وسخرية ، وفكاهة وهزل ، وعبث بأبي تمام الشاعر وفيه صناعة دقيقة جاءت عن طبع لا عن تكلف . وهذا فن لم يكن معروفاً عند الشعراء الهجّـائين في العصر الجـاهلي والاموي ، وهو فن (الكاريكاتير) الذي سيجده القارىء .

وبعد فمخلد شاعر مغمور مظلوم ، ولعلي بكتابي هـــذا اكون قد ازلت عنــه بعض الغبار الذي غمره والظلم الذي لحق به مدة تقرب من اثني عشر قرناً ، وهذا زمن طويل وطويل !!

محمود الجومرد

مخلـــد الموصـلي

هو مَخْـلَدُ [1] بنُ بكّـار الموصلي ـ ومَخلدٌ بمعنى الخلود ، وبَكّـارٌ : صيغة مبالغـة من التبكير والاسراع الى الشيء ـ ولا نعرف من نسـبه واصله غير هـــذا ، وكل من تحدث عنـه من مؤرخي الأدب ونقّـاده ينسبه الى الموصل ويدعوه بـ (الموصلي) .

يقول ابو عُبيد البكري ٤٨٧ هـ ـ ١٠٩٤ م في كتـــابه (سِمطُ الـلّآلىء) [2] : [ومخلدٌ هذا ، مولى للأزد ، وكان اذا غضب عليهم قال:

---

(١) ذكر محققو كتاب (اخبار أبي تمام) لأبي بكر الصولي ان اسمـــه [مخلد] اسم مفعول من الفعل (خلد) ـ بتشديد اللام ـ وجاء اسمه [مخلد] ـ بفتح الميم وسكون الخاء وتخفيف اللام وفتحها ـ في الكتب : تاريخ الموصل والاغاني وسمط اللآلىء والامالي وطبقات الشعراء . ومخلد : مصدر ميمي بمعنى (الخلود) والمصدر الميمي : صيغة قياسية تؤدي ما يؤديه المصدر في الدلالة على المعنى لكنهـا تفوقه في قوة الدلالة وتأكيدهـــا . والعرب تسمى باللفظين وفي القاموس من مادة (خلد) اسم (مسلمة بن مخلد ، كمعظم ، صحابي) وفياللسان [وقد سمت ـ الناس ـ خالداً وخويلداً ومخلداً وخليداً ويخلد .....] فالاسم بالصيغتين معروف ، ولا حرج من لفظه بهما ، لكن (مخلداً) أخف في اللفظ واقوى في المعنى وربما كان شائعاً بهذه الصيغة .

بكار ـ صيغة مبالغة من الفعل (بكر) أي اسرع الى الشيء وعجل

(٢) سمط اللآلىء جـ ٢ ص ٧٦٧ . الازد ـ قبائل مناليمن القحطانيين ، =

إني مولى للحارث بن كعب ، فإذا غضب عليهم قال : أنا من عَـنَزةَ من انفسهم ، فإذا غضب عليهم قال : أنا امرؤ من الفرس] . وهذه الرواية الوحيدة التي وجدناها إن صدقت ـ لأن بين مخلد والبكري اكثر من مائتي سنة ومخلد موصلي والبكري اندلسي وآفة الاخبار رواتها ـ تدلّ على ضياع اصله ونسبه .

ويحدثنا ابو بكر الصولي بقوله[١] [إن اصل مخلد من الرُّحبـة ثم اقام بالموصل] .

ومخلد في هجائه الشاعر الموصلي (كامل الموصلي) يقول[٢]

وانمـا المرءُ ابنُ عَـمٍّ لنـا ونحن من كوثى ومن بابل

وكوثى[٣] : موضع بسوادالعراق منأرض بابل . ويظهر أن اسرته انتقلت الى الموصل مع القبـائل التي وفدت عليهـا من هـذه المنطقة التي تعرف الآن بمحافظة بابل أو لواء (الحلة) سابقاً .

ويظهر كذلك أن اسرة مخلد بن بكار كانت معروفة في الموصـل ، فقد ظهر فيها شاعر آخر هو (كامل الموصلي) ابن عـم مخلد[٤] [وكان يجلس في المسجد الجامع يُقرىء الشعر] وهو الذي هجاه مخـلد بقصيدة منها (البيت) الذي ذكرناه سابقاً .

= ومنهم الخزرج وقد كان لهم شأن كبير في الموصل . الحارث بن كعب ـ قبيلة من كهلان من القحطانيين سكنت الموصل . عنزة ـ من القبائل العدنانية .

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٣٤ . الرحبة : قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة ـ معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٣ .

(٢) كتاب الامالي جـ ٢ ص ١٤٢ .

(٣) معجم البلدان جـ ٧ ص ٢٧١ .

(٤) الامالي جـ ٢ ص ١٤٢ .

وعلى هذا فلا نستطيع الجزم بان مخلد بن بكار انتقل الى الموصل كما جاء في رواية الصولي أو أنه ولد فيها ، ورواية الصولي مشكوك فيها ـ كما سنتحدث عنها ـ .

ثم إن مخلداً هجا الشاعر أبا تمام الطائي ساخراً هازلاً عابثاً به لأنه يدعي أنه من قبيلة (طيء) من العرب العاربة القحطانيين ، وهو ليس عربياً وليس من هذه القبيلة .

ونحن أمام رأيين :

أولهما : أن يكون مخلد بن بكار مولى ولكنه يعتز بأصله ، ولم يكن مائعاً فينسب نفسه الى العرب والى قبيلة لها شأنها ومكانتها ، لذلك هجا أبا تمام على سلوكه .

وثانيهما : أن يكون مخلد بن بكار عربياً أصيلاً ، ولولم يكن عربياً أصيلاً ما جرؤ وما قدر على هجاء أبي تمام بشيء هو فيه من صلته بغير العرب ، وعلى تعييره بانه (نَبَطي) [1] والانباط كثيرون في العراق ومنهم في (كوثى والرحبة) .

ثم ان كلمة (مولى) التي وردت في رواية البكري عن مخلد جاءت في معجم اللسان بمعان كثيرة منها [المولى : الحليف وهو من انضمّ اليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك ـ وهذا اكثر ما تعنيه كلمة مولى ـ . والمولى : الناصر والتابع والمحب والصديق والصاحب والقريب والشريك والعبد ...] .

---

(١) النبط ـ جيل من الناس كانوا ينزلون بين العراقين ـ الكوفة والبصرة ـ والشام ثم استعمل في اخلاط الناس وعوامهم .

ومهما يكن من شيء فأن مَخْلَدَ بنَ بَكّارٍ قد نُسب الى الموصل، وأول ما عرفنا من اخباره وشعره كان في الموصل، وقد عاش فيها طوال ما عرفنا من اخباره .

وكان مخلد دائم الإقامة في الموصل، ولم يبارحها بدليل ما رواه أبو زكريا الأزدي الموصلي من اخبار مخلد في كتابه[1] [تاريخ الموصل] . وربما كانت له مهنة يعيش منها فلم يغادرها، لذلك قلّ اجتماعه بشعراء زمانه، ولم يتكسب بشعره كما فعل غيره . ولم نجد من المصادر ما يشير الى أنه مدح للكسب أو طرق الأبواب أو ركب الاسفار للحصول على المال، عدا مرة واحدة مدح فيها الخليفة[2] (المعتصم) - وقد ضاعت القصيدة - ومرة ثانية شكا بشعره مَظْلَمة له لوالي الموصل[3] [مالِكَ بنِ طَوْقٍ] .

ومدحُ الخليفة كان من تقاليد الشعراء وقتئذ، وقد يكون هذا المدح إعترافاً بالولاء لا رغبة في التكسب، ومن طباع رجال الحكم الجودُ وملء افواه المادحين، لهذا خمل ذكر مخلد . ولولا مجيء أبي تمام الطائي الى الموصل واجتماعه بمخلد وهجاء مخلد له ما كان بعض مؤرخي الأدب يذكره بشيء .

ثم إننا لم نجد ذكراً لسنة مولد مخلد وسنة وفاته، لكن أبا زكريا الأزدي الموصلي في كتابه (تاريخ الموصل) يذكر أن مَخْلَدَ بنَ

---

(١) وجدنا في كتاب (تاريخ الموصل) - الجزء الثاني - معظم ما نقلنا من أخباره وشعره .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٩٨ .

(٣) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٩٦ .

بكّار الموصلي مدح سليمان بن عمران لأنه أبلى بلاء حسناً اشتهر به في وقعة (الميدان) التي كانت في الموصل بين القبائل اليمانية والنزارية سنة ١٩٨ هـ - ٨١٣ م . ومما جاء في القصيدة :[1]

وَلِيَوْمِ المَيْدانِ مِنْهُ ثَنَاءٌ
لا تُعَفّيهِ في الحياةِ الدُّهورُ[2]

يومَ آتتْ بنو زُهَيْرٍ حُماةً
ورحى الحربِ بالمنايا تَدُورُ[3]

فَتَلَقّاهُمُ بِبَأْسٍ وَجاْشٍ
وَيَدٍ سَمْحَةٍ نَداها يَمُورُ[4]

وَبِرِجْلَيْنِ لم يُباشِرْهُما إِلّا (م)
مُصَلّى ومِنْبَرٌ وَسَرِيرُ[5]

أَوْ نِزالٍ لَدى الكُماةِ اذا ما
ضاقَ للْكَرِّ مَسْلَكٌ مَهْجورُ[6]

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٣ .
(٢) تعفيه — تمحوه .
(٣) بنو زهير : إسم عشيرة . الحماة : جمع الحامي وهو المانع والمدافع .
(٤) البأس : الشجاعة ، القوة . الجأش — القلب ، يقال : رابط الجأش أي شجاع : اليد السمحة : كناية عن كثرة العطاء والنعمة . الندى — الجود والفضل والخير . يمور — يتحرك بسرعة .
(٥) البيت مدور وكلمة (إلا) مشتركة بين الشطرين ، والبيت من بحر (الخفيف) . السرير — يقصد به سرير الملك والعز والمجد.
(٦) النزال — المقابلة والمقاتلة في الحرب . الكماة — جمع كمي وهو =

فالقصيدة وما فيها من اسلوب وشكل ومضمون ، تدل على أن مخلداً كان مكتمل النُضج سنة ١٩٨ ـ ٨١٣ م وهذا لا يكون في اعتقادنا إلا اذا كان الشاعر في أواخر العشرينات من عمره ، وعليه فربما كانت ولادته حوالي سنة ١٧٠ هـ ـ ٧٨٦ م . ولعل هـذا الاستنتاج هو اقرب ما يمكننا من تحديد سنة مولده .

أما وفاته فمن المؤسف أن الجزء الثالث من كتاب (تاريخ الموصل) للأزدي الموصلي لايزال مفقوداً ، وهو يبدأ بأخبار سنه ٢٢٥ هـ ـ ٨٣٩ م ولو حصلنا عليه لكنّا نعلم سنة وفاته ، لأن الأزدي يذكر الوفيات في كل سنة . أما إبن الأثير المؤرخ ـ وهو موصلي ـ فلم يذكر لنا في كتابه (الكامل) شيئاً عنه .

لكن أبا بكر الصولي يقول :[1] [قال عَوْنُ بنُ محمد الكِنْدي : اخبرني مخلد الموصلي أن أبا تمام مات بالموصل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ٢٣٢ هـ ـ ٨٤٦ م] وعلى هذا فأن مخلداً حضر وفاة أبي تمام في الموصل ، وبذلك يكون قد عاش بعد هذا التاريخ ، ولكنه كم عاش بعده ؟ وعليه فإن اقرب ما يمكننا استنتاجه هو أن مخلداً ولد حوالي سنة ١٧٠ هـ ـ ٧٨٦ م وتوفي بعد سنة ٢٣٢ هـ ـ ٨٤٦ م وقد جاوز الستين عاماً .

= الشجاع أو لابس السلاح . الكر ــ يقال كر الفارس على العدو أي حمل وإنقض عليه . المسلك ــ الطريق .

(١) أخبار أبي تمام ص ٢٧٠ .

الموصـــــل

بين ســـنتي ١٧٠ هـ ـ ٢٣٢ هـ

٧٨٦ م ـ ٨٤٦ م

هذه الفترة الزمنية تشمل خلافة الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم حتى نهـاية خلافة الواثق . وقد عاش مَخْلَد الموصلي مقيماً في الموصل بين هاتين السنتين . والموصل في هذه الفترة كانت قد توسعت وسكنتها قبائل عديدة ، وتطورت فيها الحياة الاقتصادية والاجتماعيـة ، وحدثت فيها أحداث قبلية وسياسية ، ومرت بها الجيوش الغازية ، ونزلها الخلفاء والقواد ومعهم جيوشـهم لغزو الروم أو للقضاء على الفـتن في أرمينيا وأذربيجان وغيرهما . لذلك فقد كانت الموصل مزدحمة بالأحداث وكلما حاولنـا الاختصار في الحديث عثرنا على حادث مهم لا يمكن إغفـــاله لقيمته وأثره .

ومخلد الموصلي ، كشاعر ، تؤثر فيـــه نواحي الحيـاة المختلفة ، ويتفاعل معها وينصهر فيهـــا ، ويتكون بسببها مزاجه وذوقه الأدبي واتجاهه القبلي والسياسي . لذلك فلابدّ لنا من شرح هذه النواحي لعلنا نستطيع التحدث عنه وعن شعره والمناسبات التي نظم فيها حديثاً قريباً من واقعه الذي كان عليه .

الموصل تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة من شمال العراق ، وعن يمينها سهول خصبة تسقط عليها الامطار خريفاً وشتاء وربيعاً فتكثر فيهـــا المراعي والزروع . وعن يسارها سهول خصبة تحدها الجبال ، ومناخها تظهر فيه الفصول الاربعة بكل وضوح ، شتاؤها بارد وصيفها حار ، وخريفها وربيعها معتدلان متشابهان ، لذلك نعتوها قديمـــا بـ (أم الربيعين) .

وبعد الفتح الاسلامي سنة ١٦ هـ ـ ٦٣٧ م توسعت الموصل فجاءتها القبائل القحطانية والعدنانيـــة واصبحت مُستراح الجيوش التي تذهب غازية بلاد الروم وأرمينيا وأذربيجان . وبين الموصل وبغداد (٤٠٠) كيلو متر وبينها وبين بلاد الروم مثل هـذه المسافة وتزيد ، وبينها وبين أرمينيا وأذربيجان طرق وعرة وجبال منيعة ، وكانت الجيوش يومئذ تقطع هذه المسافة بمراحل عديدة شاقة .

لذا فقد توّسعت الزراعــة وراجت التجارة وبدأت الصناعة تنمو بسبب نمو الزراعـة والتجارة وكثرة السكان وتعدد الحاجات ، وبذلك تطورت الحياة الاجتماعية بتـــأثير الرفاه الاقتصادي وتوفير العمل ، وطبيعة الموصل وخيراتهـا الكثيرة مشجعة لكل هـــذا ، ونهر دجلة خير مساعد .

ويذكر لنـــا الأستاذ جرجي زيدان في كتـــابه (تاريخ التمدن الاسلامي) ثلاث[1] قوائم لجباية الدولة العباسية في بعض سنوات هـــذه

(١) جـ ٢ ص ٥١ : القوائم الثلاث هي : قائمة إبن خلدون وقائمة قدامة ابن جعفر وقائمة إبن خرداذبة .

للفترة ، وأقدمها قائمة (إبن خلدون) ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م ومما جاء فيها أن جباية الموصل في[1] [أيام المأمون (٢٤) مليون درهم و (٢٠) الف رطل عسل] وكان ما يُجبى من الموصل وما يليها من أعمالها كما جاء في هذه القائمة هو (ستة في المائة) مما يجبى من كل البلدان الاسلامية : من شمال أفريقيا حتى حدود أرمينيا وأذربيجان وخراسان وسجستان . والموصل تأتي في ترتيب مبلغ الجباية بعد منطقة الجزيرة الفراتية وخراسان وسواد العراق وفارس والأهواز .

صلة المواصلة بالخلفاء العباسيين :

كان للمواصلة ـ وهم مجموعات كبيرة من القبائل القحطانية والعدنانية ـ شأن مع الخلفاء العباسيين ، فحيناً يخرجون عليهم ويستقلون بأمرهم أو يتعاونون مع الخوارج ضدهم ، وحيناً يتعاونون معهم فيكون منهم الوالي والقائد والقاضي وجابي الخراج ، لذلك فقد كان الخلفاء يختارون أشد الرجال حزماً وقوة ودهاء ليكونوا ولاة الموصل ففي خلافة الرشيد مثلاً من سنة ١٧٠ هـ ـ ٧٨٦ م الى سنة ١٩٣هـ ـ ٨٠٨ م كان عدد الولاة[2] (ستة عشر) والياً ، منهم : عبدالملك ابن صالح العباسي وهَرْثمة بنْ أَعْيَنَ ويزيد بن مَزْيَد الشيباني القائد المشهور .

وكان الرشيد اذا وجد والياً أو قاضياً ينسجم مع المواصلة ، عزله ولو كان من أعف الناس[3] [وعزل هارون في سنة ١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٥١ .

(٢) أنظر فهرس الولاة في كتاب تاريخ الموصل ج ٢ ص ٤٩٥ .

(٣) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٨٨ .

اسماعيل بن زياد القاضي ، على سُخطٍ منه عليه ، وزعم أن هواه مع أهل الموصل ..... وكان اسماعيل بن زياد متعففاً حسن السيرة ، وكانت له رواية الحديث ... وكتب الناس عنه بالموصل] .

وفي خلافة الرشيد ايضاً ، يحدثنا أبو بكر الأزْدِي الموصلي ، في حوادث سنة ١٧٧ هـ - ٧٩٣ م(١) [تحالف العَطّافُ بن سُفيان الأزْدي على هارون ، وكان من فرسان أهل الموصل ، واجتمع اليه صعاليك البلد فجبى الخراج وحبس العمال ..... وأقام على هذا سنين ، حتى خرج الرشيد الى الموصل فهدم(٢) سورها بسببه] وكان ذلك سنة ١٨٠هـ - ٧٩٦م

وفي خلافة الأمين(٣) [لما ضعف أمر السلطان وقلّت الحماية ، اجتمع أهل الموصل على علي بن الحسن الهمداني - الموصلي - ليشرف على أمر البلد ويحوط اطرافه] وكان ذلك ١٩٥ هـ - ٨١٠م .

وفي سنه ١٩٧ هـ - ٨١٢م(٤) [خطب الحسن بن عمر بن الخطاب العَدَوِيّ الموصل من محمد الأمين - الخليفة - فقلّده إياها فأتى الموصل في جمع عظيم .... فبلغ علي بن الحسن الهَمْداني أمره ، وكان البلد في يده ، فامتنع من ولايته ... فلم يزل الحسن بن عمر يكاتب بني الحسن

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٧٩ . يحدثنا الأزدي ص ٢٨٤ عن مجيء الرشيد الى الموصل وكيف حلف أن يقتل أهلها جميعاً ، ووساطة أبي يوسف القاضي الانصاري لتبرير قسم الرشيد .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥ : بنى سور الموصل محمد بن مروان أخو الخليفة عبدالملك بن مروان عندما تولى الموصل سنة ٨٠ هـ - ٦٩٩ م .

(٣) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٢٤ .

(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٢٦ .

ـ الهمدانيين ـ ووجوه الناس الى أن أجابوه الى الدخول] . وهكذا كان المواصلة لا يستذلون لكل والٍ .

وفي خلافة المأمون ظهر (مهدي بن علوانَ الشّاري الخارجي) سنة ٢٠٢هـ ـ ٨١٧م وذلك عندما دبّ الخلاف بين علي بن الحسن الهَمداني وقومه الهمدانيين وبين الأزْدِ ، ـ وكلهم من اليمانيين ـ كاتبَ علي بن الحسن خارجياً يقال له مهدي بن عَلوان الشّاري[1] [فوافاه في خلق كثير فأدخله الموصل .... وكانت خيل مهدي الشّاري وأصحابه تدور في المسجد الجامع .... والمهدي صلى الجمعة بالناس وخطب على المنبر ودعا لنفسه] .

وفي سنة ٢٠٥ هـ ـ ٨٢٠ م طلب[2] (زُرَيْقُ بن علي بن صَدَقَة الأزْدي الموصلي) من المأمون أن يولّيه أرمينيا وأذربيجان ليحارب (بابَكَ الخُرّمي) فولاه المأمون ، وجمع زُرَيْق رجاله وكتب الى عشائره بالموصل وأعمالها واستنجدهم ، فوافاه منهم خلق كثير ، ثم تقدم لمحاربة (بابَك) ، لكن الشتاء ببرده وثلجه ، ثَقُلَ على أصحابه فلم يقدر على محاربته .

وفي سنة ٢١٣ هـ ـ ٨٢٨ م تقدم محمد بن حُمَيْدِ الطّوسي الطائي لمحاربة (بابك) وجمع له جيشاً كبيراً كان منهم أهل الموصل . ويقول ابو زكريا الأزدي[3] [اخبرني محمد بن اسحق عن أشياخه قال : سئل محمد بن حُمَيْد عن رجال الموصل فقال : إن فيهم الف فارس لو لقيت

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٤٤ .
(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٥٦ .
(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٩١ .

بهم الروم لأنِستْ بهم ، وفيهم الف فارس ما للعرب مثله] .

وفي سنة ٢١٥ هـ ـ ٨٣٠م خرج[١] المأمون يريد غزو الروم لأنهم ساعدوا بابك الخرمي ، فوافى الموصل في شهر المحرم من هـذه السنه ، وأقام بها ودخل بلاد الروم وفتح حصن (قَرّة) .

وفي خلافة المعتصم سـنة ٢٢٣ هـ ـ ٨٣٧م[٢] حارب المعتصم الروم وفتح (عَمّورية) ، وفي طريقه نزل الموصل ورحل منها .

أما في خلافة الواثق فلم نجد من المصادر ما يشير الى حادث مهم في الموصل وهكذا كانت صلة المواصلة بالخلفاء العباسيين .

الصـــراع القبلي :

أما القبائل العربيـة التي سكنت الموصل ، فقد جاءت بعـد الفتح الاسلامي سنة ١٦ هـ ـ ٦٣٧م من كل جانب ومعهـا عصبيـّتها وخلافاتها وتقاليدها المختلفة .

فمن القحطانيين[٣] ـ وهم العرب العاربة اليمانيون ـ جاءت : قُضاعَة ومَذْحِج وهَمْـدان وطَـيّء ولَخـم والأزْد . ومن الأزْد جاء الخزرج وبنو مالك بن فَهْمٍ .

ومن العدنانيين ـ وهم العرب المستعربة ـ جاء النِزاريّون ومنهم :

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٩٩ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٢٧ .

(٣) هذه القبائل العدنانية والقحطانية ذكرها كلها وذكر رجالها أبو زكريا الأزدي في كتابه (تاريخ الموصل) – راجع فهرس القبـائل جـ ٢ ص ٤٧٨ – وقد رتبناها معتمدين على كتاب (الوسيط)ص ٧ ، ٨ .

مُضر ، ومن مضر جاءت : كِنانة وتميم وقيس عَيْلان ، ومن قيس جاءت : باهِلة وسُلَيْم وبكر وتغلب وشَيْبان .

وعند اجتماعهم بدأت الخلافات والعصبيات بين القبائل القحطانية والعدنانية ، والقحطانية باسم (اليمانية) والعدنانية بأسم (النِزارية) . وكانت السيطرة على المدينة مناوبة بين الجانبين ، مرة لليمانية وأخرى للنِزارية وذلك تبعاً لتقربهم من الخليفة أو من ولاته أو تعاونهم معه في الحوادث ، وأحياناً يحاول الولاة بثّ الفتنة بين الجانبين ليصفو لهم الجو .

ففي خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ - ٧٩٩ م ولي الموصل أحمد بن يزيد السُلَمي[١] [فرأى اليمانية في البلد اظهر من النِزارية فتعصب على اليمانية] وأراد أن يدبّر مؤامرة يستذلّ بها اليمانيين ، فعلموا بذلك وخرجوا عليه وجرحوه .

ثم تعاظمت الفتنة بين اليمانيين والنِزاريين ، ففي سنة ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م كان والي الموصل[٢] الحسن بن صالح الهَمْداني الموصلي - وهو من اليمانيين - وعندما خرج الى بعض نواحي الموصل اجتمت عليه عَنَزَة - وهي من النِزارية - فقتلته ، ثم قام ابنه علي بن الحسن وأغار على عنزة وقتل منهم خلق كثير .

وفي خلافة الأمين وضعف الدولة ١٩٨ هـ - ٨١٣ م[٣] [كانت الموقعة

---

(١) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٢٩٥ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٣٢ .

المعروفة (بالميدان) بين اليمانية والنزارية] وهي من اسوأ الحروب وافظعها في الموصل .

وفي خلافة المأمون سنة ٢٠٢ هـ ـ ٨١٧ م دبّ الخلاف بين اليمانيين انفسهم ، فقامت بين علي بن الحسن الهَمْداني الموصلي وبين الأزْد ـ من اليمانيين ايضاً ـ حرب قتل فيها علي بن الحسن ومعه اهل بيته ، وتغلّب الأزد بقيادة[1] (السّيد بن أَنسٍ التّليدي) : [2] [فقدّمته الأزْدُ وتولى أمر البلد ودعا للمأمون وانتظم امره ، فكان على ذلك يجبي المال ويعطي الرجال ويحمي البلد الى أن قدم المأمون بغداد من خراسان فانحدر اليها] . وفي هذه السنة تولى الموصل السّيد بن أَنس وبقي والياً عليها حتى سنة ٢١١ هـ ـ ٨٢٦ م .

وفي سنة ٢١١ هـ ـ ٨٢٦ م قُتِل السيد بن أَنس ، في خلافة المأمون، في حربه مع زُرَيْق بن علي بن صَدَقة الأزدي الموصلي ، وهو من قبيلة السيد بن أَنس نفسها ، وكان مخلد معجباً بالسيد بن أَنس وله فيه مرثية حزينة .

وفي أواخر هذه السنة تولى الموصل محمد بن[3] حُمَيْدٍ الطُّوسي الطائي ، فاهتم بحرب زُرَيْق بن علي بن صَدَقة الذي قتل السيد بن أَنس ، وخرج عليه ومعه جماعة من ابناء السيد ، وكلا الطرفين

---

(١) يذكر أبو زكريا اسم السيد بن أنس مرة بأسم السيد بن أنس التليدي ومرة ثانية بأسم السيد بن أنس اليحمدي الأزدي ، وثالثة بأسم السيد بن أنس فقط ، والأسماء كلها لشخص واحد .

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٤٦ .

(٣) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٧٨ .

المتحاربين من اليمانية ، فدارت الدوائر على زُرَيْقَ بن علي وجماعته .

وفي سنة ٢١٢ هـ - ٨٢٧ م الى سنة ٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م لم نجد ما حدث في الموصل بين القبائل ، لأن الجزء الثالث من كتاب (تاريخ الموصل) لايزال مفقوداً . وابن الأثير - وهو موصلي - لم يذكر لنا شيئاً عنها في كتابه (الكامل) .

هذه الاحداث تأثّر بها كلها مخلد الموصلي ، وله في رجالها وفرسانها مدائح ومراثٍ ، وله فيهم معظم شعره الذي وصلنا .

الحالة العلمية :

بجانب هذه الثورات والفتن والحروب كان في الموصل حركة علمية تشمل : النحو والحديث والفقه وقراءات القرآن واللغة .

فعلم النحو نشأ في الموصل منذ مجيء [مَسْلَمَة بن عبد الله بن مُحارب] الى الموصل . يقول السّيوطي[1] [كان مَسْلَمة بن عبد الله ابن محارب الفِهْرِي من أئمة النحو المتقدمين ..... وصار في آخر عمره مؤدباً لجعفر بن أبي جعفر المنصور ، مضى معه الى الموصل وأقام بها حتى مات فصار علم اهل الموصل من قِبَلِه] .

فاذا علمنا أن أبا جعفر المنصور[2] [ولى ابنه جعفراً الموصل سنة ١٤٥ هـ - ٧٦٢ م] فتكون هذه السنة مبدأ ظهور النحو كعلم يدرس في الموصل على المذهب البصري ، لان أبا بكر الزُبَيْدي في كتابه (طبقات النحويين واللغويين) يعده[3] [من الطبقة الرابعة من

(١) كتاب (بغية الوعاة) جـ ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ ص١٩٤ - راجع فهرس ولاة الموصل ص ٤٩٤.

(٣) ص ٤١

النحويين البصريين] .

والنحو أداة الاديب والعالم ، لا يستقيم اللسان والقلم إلّا به ، وكان من صفات الاديب والعالم (أن يأخذ من كل علم بطرف) ، واللغة العربية وحدة لا تتجزأ ، فالفقيه أو المحدّث يجب أن يعلم الكثير من النحو واللغة والشعر ليدرك بلاغة القرآن وإعجازه ، وما في الحديث من روعة وبلاغة وما في النحو واللغة من منطق واشتقاق الخ ...

وقد شغل الحديث المواصلة كثيراً فظهر منهم - في هذه الفترة - علماء زهّاد اتقياء ، فيهم من اخذ الحديث عن التابعين وفيهم من رحل في طلب اللغة والحديث . وكثير من المواصلة كتبوا الحديث ودرسوه على هؤلاء العلماء .

ويحدثنا ابو زكريا الازدي في (تاريخ الموصل) عن عدد كبير من علماء الحديث المواصلة الذين زهدوا في الدنيا ولم يشاركوا في عصبية أو فتنة بل كانوا القدوة الصالحة والمرجع في التصافي وإزالة العداوات . وكان ابو زكريا نفسه من رجال الحديث ، فألف كتابه في (طبقات المحدّثين) ذكر فيه المحدثين المواصلة وغيرهم(١) [ولهذا الكتاب شهرة كبيرة وذكر في كتب المتأخرين ، ويعتبر مرجعاً هاماً للمؤلفين] ولكنه مفقود مع الاسف الشديد .

الحالة الادبية :

أما الشعر ، فتلك الثورات والفتن والعصبيات ، وهذه الحركة العلمية والفقهية ، وطبيعة الموصل الجميلة - والشعر من طباع العربي

---

(١) مقدمة كتاب تاريخ الموصل جـ ٢ ص ١٥

اذا تعلم وتثقف أو ثار وتعصب وحارب ـ فقد كان الشعر في مستوى الاحداث حتماً ، لكن المهم في الامر هو أن الموصل لبعدها عن بغداد ومراكز الحضارة الاخرى ، وعدم تكسب الشعراء وتقربهم من الخلفاء ورجال الدولة في بغداد وغيرها ، واغفال مؤرخي الادب لما انتجوه ، كل هذا جعلنا نفقد الكثير من اسماء الشعراء وشعرهم . ولولا صلة مَخْلَد بن بَكّارٍ الموصلي بأبي تمام الطائي وهجائه له ، ما وجدنا من شعره إلّا القليل الذي لا يعطينا فكرة صحيحة عنه وعن شعره .

ومع ذلك فإن أبا زكريا الازدي يذكر لنا بعض شعراء الموصل الذين ادركوا هذه الفترة التي نتحدث عنها أو عاشوا فيها وهم[1] :

صَقرُ بنُ نَجدَةِ الازْدي ، وكان فارساً شجاعاً .

ومحمد بن الحسن الهَمْداني .

وسعيد الكَوْثري .

ومخلد بن بَكّار الموصلي ـ شاعرنا هذا ـ .

ومن الشاعرات : الشاعرة[2] أُم محمد إبنة زُرَيْق بن علي بن صَدَقة . وقد روى لها قصيدة في مدح محمد بن حُمَيْدٍ الطّوسي والي الموصل عندما عفا عن أُسرتها وأعاد اليهم مالهم بعد ان وهبه الخليفة المأمون كل ما يملكون بسبب خروجهم وعصيانهم .

ويذكر لنا ابو زكريا الازدي من شعر هؤلاء قصائد المدح والرثاء في

---

(١) راجع فهرس الاعلام في تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٤٢٥ للاطلاع على شعر الذين سنذكرهم .

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٨٢ .

الرجال الذين برزوا او قتلوا في الحروب والفتن ، وكان مخـلد الموصلي اكثر حظاً عند الازدي من غيره ، فقد ذكره في اكثر من موضع .

والشاعر الذي ينظم قصيدة تُروى وتذكر بعده ، في المدح أوالرثاء مهما كان مستواها ، لابد من ان يكون قد نظـم الكثير الكثير في مناسبات عديدة حتى بلغ هـذا المستوى ، لذلك فالشعر في الموصـل قد ضاع وعفّـى عليه الزمن .

مخلــد تأثــر بالاحداث

وبالحركة العلميـة والأدبيـة

مَخْلَدُ الموصلي شاعر ، والشاعر تؤثر فيـه الأحداث اكثر من غيره ، فهو بشعوره الحساس وسعة أُفقه يدرك خطورتها واثرها في الحاضر والمستقبل . والشاعر مهما كان ملتزماً بمذهب سياسي أو عقائدي أو متعصباً لقبيلة دون غيرها ، فهو يكره الظلم ويثور عليـه ، لأنه بطبيعته إنسان ، وللأنسان ضمير ، والضمير في الصـدر شخص آخر رقيب حسيب لا يستطيع أن يتغافل عن وَخَزاته وحسابه ليل نهار .

وكان مخلد مرهف الإحساس جداً لا يسكت على خطأ أو ظلم ، لذلك كان له مزاج خاص ورأي في الأحداث ، ومزاج شعري قد يكون طريفاً . فهو كما يحدثنا البكري في كتابه (سِمْطُ اللآلىء) ـ وقد ذكرنا حديثه سابقاً ـ عن مخلد الموصي بقوله [انه مولى للأزْد ، وكان اذا غضب قال : إني مولى للحارث بن كعب ، فاذا غضب قال : أنا من عَنزة من انفسهم فاذا غضب عليهم قال : أنا امرؤ من الفرس] وغضبه هـذا وانتماؤه مرة الى اليمانية وأخرى الى النِزارية وثالثة الى الفرس لم يكن للتكسّب أو لمن يدفع الثن الغالي ، ولكنه كان بجانب المظلوم غالباً .

فعندما حدثت الحرب في الموصـل سنة ٢٠٢ هـ ـ ٨١٧ هـ ـ بين بني الحسن الهَمْدانيين ورئيسهم علي بن الحسن الهمـداني وبين الازْدِ

ورئيسهم السّيد بن أنس الازدي ـ وكلا القبيلتين من اليمانية ـ وتغلّب الازد على اليمانيين[1] [ورجعوا الى الموصل برؤوس بني الحسن] تألَّم مخلد الموصلي لهـذا الحادث الفظيع وهو يعلم فضل علي بن الحسن[2] وتقواه ووَرَعه وطيب أصله ، فرثاه بقصيدة حزينة حاثاً بها بني الحسن على الاخذ بالثأر من الازد على الرغم من انتمائه اليهم وصلته القوية برئيسهم السيد بن أنس ، قال فيها[3] :

يا طُلولَ النَّدى عليكِ السّلامُ
كلّمينا وأين منكِ الكلامُ[4]
أخطأ الدهرُ لا سَلِمَ الدهْرُ (م)
وجارت في صَرْفِها الايامُ[5]
آلَ قحْطانَ فاغْضَبوا ـ غضِبَ اللهُ (م)
عليكم ـ مثل الكرامِ وحامُوا[6]

[فبلغ السيّد بن أَنس شعره فآلى أن يقتل مخلداً وقال : لو حرّض على غير عشيرتي لم أَحفلْ به][7] .

---

(١) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٤٦ .
(٢) يحدثنا أبو زكريا عن فضل علي بن الحسن وخلقه وتقواه ج ٢ ص ٣١٣ .
(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٨ وسنذكر القصيدة كاملة .
(٤) الندى : الجود والفضل والخير .
(٥) جارت : ظلمت . صرف الأيام وصروفها : نوائبها .
(٦) حاموا : فعل أمر من حامى أي مانع ودافع .
(٧) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٤٩ .

وما وصلنا من شعر مخلد يدلنا دلالة واضحة على أنه كان دارساً حافظاً للشعر مكثراً من نظمه ، وعلى أن اسلوبه وثروته اللغوية لم تأته عفواً ، والزهرة لا تكون في نبتة ليس لها جذور .

ثم إن استعماله الاستعارة والكناية - من علم البيان - والطِباق والجناس والازدواج - من علم البديع - ربما كان دليلاً على وجود حَلْقة أو حلقات أدبية تتدارس الشعر في الموصل . وهذا ليس ببعيد مادامت دراسة النحو والحديث والفقه وقراءات القرآن نشيطة في الموصل . وفي ذلك العصر كان الاعتماد على الشعر كثيراً كمصدر لمعرفة فصاحة الكلمة وبلاغة التعبير[1] . [وكان ابن عباس يقول : اذا قرأتم شيئاًمن كتاب الله فلم تعرفوه ، فأطلبوه في اشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب . وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه الشعر] .

ولم نعرف عن مخلد الموصلي - بما حصلنا عليه من شعره - المُجون والتهتّك والإسراف في اللهو ، لأن بيئة الموصل القبلية والعلمية والدينية لا تساعد على الخروج على التقاليد المتعارفة ، والخارج عليها يلاقي الإهانة والازدراء ، لذلك عندما جاء أبو تمام الطائي الى الموصل - والمعروف عنه حبّه الخمر والغلمان والتكسب بالشعر - هجاه مخلد هجاءاً طاعناً مؤثراً ، ولم يقل فيه كلمة طيبة ، حتى إن مخلداً رثاه بعد موته بهجاء مُقذِع .

---

(١) كتاب في علمي العروض والقافية ص ١٢ .

مزاجه وتلقيبه بشاعر المنــارة

يقول أبو علي القالي البغدادي ٣٥٦ ـ ٩٦٦ م في كتابه (الامالي)[١] :

[حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد رحمه الله ، قال : جلس (كامِلٌ الموصليّ) في المسجد الجامع يُقْرِىءُ الشعر فصَعِد مخلد الموصلي المَنارة وصاح :

تأهّبُوا للحَدَثِ النــازلِ
قد قُرِىءَ الشّعرُ على كاملِ[٢]

وكامــلُ الناقصُ في عَقْلِه
لا يعرفُ العامَ من القــابلِ[٣]

يَهْيَهَةٌ يَخْلِطُ الفاظَــه
كأنّه بعض بني وائــلِ[٤]

---

(١) الأمالي جـ ٢ ص ١٤٢ .

(٢) تأهبوا ـ تأهب : تهيأ للأمر واستعد . الحدث ـ الأمر المنكر ، المصيبة .

(٣) العام القابل ـ القادم والقريب . أي هو شخص لايميز بين الاشياء .

(٤) يهيهة ـ في اللسان [يهيه بالإبل يهيهة أي دعاها وقال لها : ياه ياه .... يقول الراعي لصاحبه من بعد : ياه ياه أي اقبل ... واليهياء صوت الراعي] يخلط ـ لعل صوابها (تخلط) أي إن اليهيهة التي تغلب على لهجة رعاة الإبل تخلط الفاظه كأنه أعرابي من بني وائل ـ وهم بكر وتغلب ـ .

وأنّمــــا المرءُ ابنُ عَمّ لنا

ونحن من كُوثَى ومن بابلِ[1]

أذنابُنـا ترفـعُ قُمْصانَنــــا

من خَلْفِنا كالخشبِ الشائلِ[2]

هـذا الحادث الطريف لم يسبقه اليه انسان سواء أكان شـاعراً أم غير شاعر . مخلد الموصلي يصعد المَنارة ويصيح بشعره هاجياً ابن عم له قائلاً : استعدوا لمصيبة كبيرة هي أن ابن عمي (كاملاً) بدأ يُقرىء الناس الشعر ، وكامل ناقص العقل لا يميز الامور ، في صوته يَهْيَهَةٌ كأنه أعرابي من رعاة الإبل من بكر وتغلب ، ونحن من قوم لنا أعجاز تشيل قمصاننا من خلفنا وهي علامة وخِلْقة فينا .

وربما تظهر شخصية مخلد الموصلي لاول نظرة في هذا الحادث أو في رواية انتقاله بالولاء من قبيلة الى أخرى ، أنهـا شخصية انفعالية تنفجر لادنى حادث وتفقد إتّزانها ، أوانها شخصية (سيكوباثية). والشخص

---

(١) كوثى – موضـع بسواد العراق من أرض بابل . معجم البلدان ج ٤ ص ٤٨٧ .

(٢) يقول أبو عبيد البكري في كتابه (سمط اللآلىء) ج ٢ ص ٧٦٧ في شرح هـــذا البيت [ذكر أبو علي – يقصد أبو علي القالي البغدادي – عن ابن دريد فيما رويناه عنه أن ذلك خلق في أهـل (كابل) في عجب – مؤخر – ذنب كل واحد منهم ارتفاع ونشوز] ويعلق البكري على هـذه الرواية بقوله (هذا كذب لعمري . وذكر لي بعض العارفين بهم أن في عجب – مؤخر – ذنب بعضهم فقرة زائدة ، فهـــذا إن صح يهون بعض الخطب) . الشائل – الحامل والرافع .

السيكوباثي مندفع ليس لغيره مكانة في حسابه ، ولا يهتم بالاوزان الاجتماعية اذا ما سلك الطرق المنحرفة ، وهذه الشخصية تلازم الفنانين احياناً فيبيحون لانفسهم من الحرية والتفكير والشذوذ ما لا يرضاه الافراد الاسوياء .

لكن مخلداً ليس من هذا الطراز المنحرف ، بل شاعر يعيش في بيئة لها أعرافها وتقاليدها ، والهجاء نقد ، والشاعر اذا ما وجد أمراً فظيعاً أو شخصاً غريباً وأراد نقده ، تبرّأ منه وهجاه ، فاذا لم يجد مجالاً ـ ولم تكن وقتئذ صحف ولا اذاعة ـ أذاع واعلن نقده بطرقه التي تناسب زمانه وظروفه ، وليس بغريب علينا ما كان يفعله شعراء الجاهلية في المواسم والاسواق .

ثم إن رواية واحدة أو حادثاً واحداً لا نعرف ملابساته وظروفه لا يمكن الحكم عليه . ومهما يكن من شيء فان حادث المنارة فيه دُعابة لطيفة لا تخلو من نكتة وهزل وسخرية ، لذلك لقبنا مخلداً الموصلي بـ (شاعر المَنارة) كذكرى لهذا الحادث .

والشعراء قديماً لُقِّبوا بألقاب شائعة معروفة ومشهورة ، وقد أُلِّفت في القاب الشعراء كتب عديدة ، ومن هذه الالقاب[1] [طائفة اقترنت بحادث أو قصة طريفة وقعت للشاعر] .

جاء في الاغاني عن الشاعر (موسى شَهوات)[2] : [هو موسى

(١) كتاب معجم القاب الشعراء ـ مقدمة ص ٧ . وقد عدد المؤلف ثمانية كتب في القاب الشعراء .

(٢) الاغاني جـ ٣ ص ٣٥١ .

ابن يَسار ... وإنما لُقّب موسى شَهوات لأنه كان سؤولاً مُلحِفاً ، فكان كلما رأى من أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس ، تباكى ، فاذا قيل له : مالك ؟ قال ، اشتهي هذا ، فسمي : موسى شَهوات] .

ويحدثنا إبن رشيق في كتابه (العُمدة) بقوله[1] : [وطائفة أخرى - من الشعراء - نطقوا بالشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها، والقاباً يُدْعَون بها فلا ينكرونها . منهم (عائدُ الكلبِ) واسمه عبدالله بن مُصْعَب ، كان والياً على المدينة للرشيد ، لُقّب بذلك لقوله :

مالي مَرِضْتُ فلم يَعُدْني عائدٌ
منكم ، وَيَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فأعودُ

ثم يذكر عدة القاب للشعراء ويختم حديثه بقوله : وأمثالهم ممن ذكره المؤلفون لا يُحْصَوْن كثرة ...] .

ونحن نعرف الأعشى وتأبّط شرّاً والفرزدق والأخطل وصريع الغواني والمتنبي وغيرهم كثير ، وكلها القاب معروفة .

فتلقيب مَخْلَدَ بن بَكّارٍ الموصلي بـ (شاعر المَنارَة) شيء مقبول يدل على هذه الحادثة الطريفة التي لم يسبقه اليها سابق ولم يقلّده لاحق .

---

(١) العمدة جـ ١ ص ٣١ .

قيمة شعره وضياع اكثره

يُعيب بعض النُقّاد المُحدَثين شعرَ المديح ، ويرون التكسب به سُبّة وعاراً ، وشعرَ المديح تملّقاً ونفاقاً وخروجاً عن الخلق القويم وامتهاناً للشعر .

ولكن ماذا يفعل الشعراء وهم من ذلك العهد وتلك الظروف ، ومعظمهم من الفقراء ، وقديماً قالوا : المعرفة صنعة الفقير ؟ ؟

أيبقى الشاعر خامل الذكر لا يعرفه ولا يذكره أحد ؟

أتكسد بضاعته الغالية وقتئذ ويموت جوعاً ؟

أيرى هؤلاء أن الشاعر نبيٌّ أو راهب في صومعته ؟

أحياناً نزن الأمور بميزاننا العصري ، والموازين تختلف من زمن الى زمن ، ومن بلد الى بلد . في زمانهم لم تكن طباعة وورق وصحف واذاعة ووسائل إعلام ، لذلك اضطر الشاعر الى عرض بضاعته ليكسب الخلود وليكون معروفاً مشهوراً ، وليعيش في رفاه ونعيم بفضل موهبته الشعرية التي منحه الله إياها .

وهذه طبيعة البشر ، كل البشر ! ! والسوق الرائجة المربحة وقتئذ هي سوق الخلفاء والوزراء والولاة والاغنياء ، لذلك عرضوا بضاعتهم عليهم ، كما نفعل نحن الآن في طريقة عرض ما ننتجه من صناعة وغيرها ، لنجد

لهـا الزبائن ولنربح ونستفيد ، فَنُجـمّل البضاعة وندعو لهـا صدقاً وكذباً ، ونتمـلّق المشتري .

هـذا هو منطق الدنيـا ، ومن خرج عن منطقها خمَـل ذكره وكسدت بضاعته وذهب مع الريح .

ثم إن بعض نـقّاد الأدب ومؤرخيه القدامى كانوا يحفلون بالشعراء الذين كثر اتصالهم بالخلفاء والوزراء وذوي الجاه ، وقلما يهتمون بغيرهم ، وكانهم يرون قيمة الشاعر باتصاله بهؤلاء . ويرى بعضهم أن من لا تحسن علاقتـه بهم ، أو من كان شعره أو سلوكه لا يوافق ذوقهم ومزاجهم ، يرون هذا غير لائق للذكر أو الاعتراف به وتسجيل ما نظم . لذلك خمل ذكر كثير من الشعراء الذين لم تساعدهم الظروف أو أَبَتْ عليهم نفوسهم أو لم يجدوا الحظوة لدى المؤرخين والنقّـاد .

وبسبب كل هـذا ضاع كثير من الشعر ، وأُنتـحِل كثير من شعر الشعراء المغمورين ، ولعل خير من يحدثنـا ويصف لنا هـذه الحالة هو القاضي الـجُرْجَاني : ابو الحسن علي بن عبـد العزيز ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م في كتابه [الوسـاطة بين المتنبي وخصومه] في حديثـه عن الشعراء الذين ضـاع شعرهم فيقول[١] : [فأما اليقين والثقة ، والعلم والإحاطة ، فمعاذَ الله أن أدّعيه ، ولو ادّعيته لوجب أن لا تقبله مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ ، وخمول اكثر ما قيـل ، وضياع جُلّ ما نُـقِلَ . واظنـك قد سمعت وانتهى اليك أن (البحتري) اسقط[٢]

---

(١) ص ١٣٥ .

(٢) في هامش صفحة ١٣٥ من كتاب الوساطة إشارة الى أن النسخة العراقية من كتاب (الحماسة) للبحتري تشير الى أن عدد الشعراء هم مائة فقط .

خمسمائة شـــاعر في عصره ، فما يؤمّنني من وقوع بعض أشعارهم الى غيري ، ومن يدري ما فيها ؟ ؟ وهل هذا المستغرَبُ المستحسَنُ منقول عنها ومقتبس منها ؟ أم هؤلاء المحدثون الذين شاركونا في الدار والبلد وجاورونا في العصر والمولد ، فكيف بمن بَعُدَ عهده وقَدُمَ زمانه وتناسخت الأمم بيننا وبينه ؟ ... وقد ذكر الاصمعي أن فِتية من الحي اتوا أبا ضَمْضَمٍ الراوية فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : اتيناك نتحدث ... ثم انشدهم لمائة أو ثمانين شاعراً كلهم يسمى (عَمْرَاً) ، قال الاصمعي : فتَجَهِدْنا أن نُتِمّ ثلاثين شاعراً يسمى (عمراً) فلم نجد . وزعم الاصمعي ايضاً : ان إخوة من بني سَعد يسمون : مُنذراً ومُنَيْذِراً ونذيراً ، كانوا كلهم رُجّازاً ، فلم يهبطوا الامصار فذهبت اشعارهم] .

وشعر مخلد ضاع اكثره ولولا ما ذكره ابو زكريا الازدي في (تاريخ الموصل) ومجيء أبي تمام الى الموصل وتعصب بعض مؤرخي الأدب ونقّاده لأبي تمـــام او عليه ، ما وجدنا لمخلد ذكراً إلا في القليل النادر جداً .

ثم إن ما وجدناه لمخلد في كتب الأدب والنقد القديمة من بيت واحد او بيتين او اكثر ، كان كله مذكوراً في موضع الجودة والملاحة والثناء عليـــه .

ويحدثنا ابن المعتزّ ٢٩٦ هـ ـ ٩٠٨ م في كتابه (طبقات الشعراء) ـ وقد افرد حديثاً خاصاً باخبار مخلد ـ بقوله[١] : [كان مخلد خرج الى العراق وبها شعراء الناس ، فاجتمعوا بباب (المعتصم) فأَذِن لهم

(١) طبقات الشعراء ص ٢٩٨ .

فدخلوا ، فجعلوا ينشدون فيعطي كل واحد منهم الالف او الالفين ، ولم يزد واحداً منهم ، وفيهم مخلد وكان قدم تلك السنة ، ولم يعرفه احد من الشعراء ، فأنشد المعتصم من ذلك اليوم شعراً استحسنه ، فقال له : من انت ؟ قال : مخلد ، قال : الموصلي ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين ، قال : قد أَثْبنا كلمتك قبل خروجك الينا ، وأمر له بثلاثة آلاف درهم] .

هذه الرواية تدلنا على منزلة مخلد ومكانة شعره بين شعراء زمانه ، وعلى ضياع شعره لان ابن المعتز لم يذكر شيئاً من تلك القصيدة .

وجاء في[1] (المختار من طبقات الشعراء) :[2] [ومما يستملح من شعر مَخْلَدَ بنِ بَكّارٍ يمدح محمد[3] بن حُمَيْدٍ الطُوسي :

صَدّتْ وما صدّت لِشَيْبِ عِيالي
أَخْبى بِحِنْدِسهِ سِراجُ قَذالي[4]

لما رأت هَمّي على مَرْهُوبَةٍ
أَسْمُو بها وأَصونُ وَجْهَ سُؤالي[5]

---

(١) المختار من طبقات الشعراء جاء ملحقاً بكتاب طبقات الشعراء .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٤ .

(٣) كان محمد بن حميدالطوسي والياً علىالموصل بين سنتي ٢١١هـ - ٢١٢هـ في خلافة المأمون .

(٤) أخبى - اطفأ . الحندس - الظلمة . القذال : شعر ما بين الاذنين الى مؤخر الرأس .

(٥) المرهوبة - الناقة التي اجهدها السير .

ولم يذكر من القصيدة غير هذين البيتين .

وجاء ايضاً :[1] [ومما يستملح من شعر مَخْلَد بن بَكّار كلمته في الغزل :

لَطُفَتْ لي حُمْرَةٌ في جَنْبِها

[بِخَفِيٍّ من تَجاويدِ العملْ][2]

[فاكْتَسَتْ حُمْرَتَها وَجْنَتُه]

حين أَوْمى لوصالي بالخَجلْ[3]

ويقول ابو زكريا الأزدي :[4] [استعرض السَّيِّد ـ يقصد السيد بن أنس التليدي ـ في مقامه ببغداد[5] (عِنانَ جارية النّاطِفي) وقد وُصِفَ له شعرها ، فقال لها : أنشديني من شعرك ، فقالت : أنشدني بعض ما قيل فيك ، فانشدها لمخلد :

واذا تَرَعْرَع من تليدٍ ناشِىءٌ

جعل الحُسامَ ضَجيعَهُ في المَرْقَدِ[6]

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤ .

(٢) الضمير في جنبها يعود الى (التفاحة) في البيت السابق – لاحظ القطعة التي رواها ابن المعتز لمخلد في شعر الغزل – وهذا البيت والذي بعدهما تشطير للبيت الأصلي في القطعة المذكورة وهو :

لطفت لي حمرة في جنبها   حين أومى لوصالي بالخجل

(٣) أومى – أشار والأصل أومأ ، أبدل الهمزة الفا للتخفيف .

(٤) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٥٥ .

(٥) عنان – شاعرة مستهترة اشتهرت ببغداد وتوفيت سنة ٢٢٦ هـ .

(٦) ترعرع – نشأ وشب . ناشىء – في الكتاب (ناشئاً) وهو خطأ =

فقـــالت :

اللهُ خَصَّ قديـمَـهُمْ وحديـثَـهُمْ

دونَ الـبَرِيَّةِ بالـعُـلا والـسُّؤْدَدِ

وكمالُ فَـضْـلِـهِمُ اذا ما اسْـتَـجْـمَـعُوا

يومَ الـتَّفاخُرِ بالـنَّجيبِ الـسَّـيِّدِ[1]

ويروي الأزدي الموصلي[2] كذلك بيتين من قصيدة يصف فيها مخلد حال [زُرَيْقَ بن علي بن صَدَقَه الأزدي الموصلي] عندما توجه لمحاربة [بابَكَ الـخُرَّمي] بموافقــة الخليفة المأمون ، فحال الشتاء ، ببرده وثلجه ، دون الحرب ثم تفرَّق اصحابه عنه :

لِلّهِ دَرُّ زُرَيْقٍ حينَ قَرْطَـقَها[3]

من قبلِ أن يَـلجَ الـبَذَّيْنِ مُـنْـصَرِفا[4]

= مطبعي . تليـــد – عشيرة السيد بن أنس . ضجيعه – الذي يضطجع معه والملازم له . المرقد – المنام .

(١) السيد – تقصد السيد بن أنس .

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٥٧ .

(٣) قرطقها – يقول محقق الكتاب : القرطق – القباء ولعـل الـكلمة محرفة من(طوقها). وأنا اقول : لعل الاصل (فرطها)بتشديدالراء بمعنى ضيعها لأن زريقاً لم يطوق شيئاً بل عجز عن محاربة بابك وقد أضاع كل شيء ، ولعل (فرطها) هي الصواب . راجع تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٥٧ كدليل على الحادث .

(٤) يلج – يدخل . البذين – تثنية البــذ ، وهي كورة بين أذربيجان وأران . معجم البلدان جـ ١ ص ٣٦١ .

أو يَـغبرُ الرأسُ فأنصاعتْ كِنا نَـتُه

أو يدخلُ الـبَذُّ في أضعافها إنْشَـقَفا[1]

وهكذا ضاعت القصيدتان .

ويذكر ابو بكر الصولي بيتين استحسنها لمخلد الموصـلي في الهجاء ، وهما لم يكونا في هجاء أبي تمام ، على ما يظهر ، وهما[2] :

قد كَـثُرَ الـعَـيْبُ فيكَ حـتّى

أعاذَكَ العيبُ من هجـائي[3]

لا تَـحْـمَدنّي وكُـنْ حَميـــداً

مـا فيكَ من كَـثْرةِ البــلاءِ

ويحدثنـا ابو الفرج الأصبهاني بقوله :[4] [حدثني الصولي ، قال :

(١) يغبر – يمضي . إنصاعت – رجعت مسرعة . الكنانة – جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السهام . أضعافها – أثناءها أو خلالها .

إنشقفا – لم أجد معنى لهذه الكلمة وقد تركها المحقق بدون شرح ، ولعلها محرفة من (إنشغفا) – بابدال القاف غيناً – وانشغف بالشيء أي أولع به . وبذلك يكون معنى البيت كما أراه : أو يمضي رئيس القوم وقد تفرق جمعه أو يدخل كورة البذ التي أولع وتلهى بما رآه خلالهـا من خير وجمال . ويقول ياقوت الحموي واصفاً طبيعتها وفاكهتها : بهـا رمان عجيب ليس في الدنيا مثله وفيهـا تين عجيب وزبيبها يجفف بالتنانير لأنه لا شمس عندهم لكثرة الضباب . معجم البلدان جـ ١ ص ٣٦١

(٢) اخبار أبي تمـــام ص ٤٩ .

(٣) أعاذك – حفظك .

(٤) الاغاني جـ ٨ ص ٣٦٩ .

حدثني عَوْنُ بنُ محمد الكنْدي ، قال : كنّا مع مخلد الموصلي في مجلس ، وكان معنا عبدالله بن ربيعة الرّقّي[1] فأنشد مخلد قصيدة له يقول فيها :

كُلُّ شيءٍ أَقْوى عليه ولكنْ
ليس لي بالفِراقِ منكِ يَدانِ

فجعل يستحسنه ويردّده ، فقال له عبدالله : أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :

سَلَبَتْني من السُّرورِ ثياباً
وكَسَتْني من الهُمومِ ثيابا
كلّما أَغْلَقتْ من الوصلِ باباً
فَتَحتْ لي الى المنّيةِ بابا
عَذّبيني بكلِّ شيءٍ سوى الصّدّ (م)
فما ذقتُ كالصُّدود عَذابا[2]

قال فضحك الموصلي ، والشعر للعباس بن الأحنف] .

ويقول أبو هلاك العسكري ٣٩٥ هـ ـ ١٠٠٤ م في كتابه (ديوان المعاني) عند حديثه عن النجوم وأحسن ما قيل فيها [قال مخلد الموصلي[3] :

---

(١) عبدالله بن ربيعة الرقي – هو ابن ربيعة الرقي الشاعر العباسي وقد ذكرنا ترجمته في المقدمة ص – ٨

(٢) الصد والصدود – الاعراض والميل عن الشيء .

(٣) ديوان المعاني جـ ١ ص ٣٣٥ .

وترى النّجومَ المُشْرِقاتِ (م)

كأنّها دُرَرُ العِصابةْ[1]

وترى الثُريّا وَسْطَها

وكأنّها زَرَدُ الذُؤابَةْ[2]

وزَرَدُ الذُؤابة يشبه نجومها، وتاليفه يشبه تاليفها فهو تشبيه مصيب] والقصيدة التي ورد فيها هذا البيت لم نجدها.

وجاء في كتاب [يتيمة الدهر] للثعالبي ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٧م في الكلام عن (صدر من سرقات المتنبي): [قال مَخْلَدُ الموصلي[3]:

يا منزِلاً ضَنَّ بالسلامِ سُقِيتَ رَيّاً من الغمامِ[4]

ما تركَ الدهرُ منكَ إلّا ما تَركَ الشوقُ من عِظامي

أخذه ابو الطيب ـ المتنبّي ـ فجوّده حيث قال:

ما زالَ كلُّ هَزيمِ الوَدْقِ يَنْحُلُها

والشوقُ يَنْحُلُني حتى حَكَتْ جَسدي[5]

(١) درر ـ جمع درة، وهي اللؤلؤة العظيمة. العصابة ـ العمامة وما عصب به ـ أي شد به ـ من منديل ونحوه. ويظهر أن النساء كن يضمن العصابة على رؤوسهن وهي مزينة بعقود اللؤلؤ أو غيره.

(٢) الثريا ـ مجموع الكواكب. الزرد ـ الدرع المزرودة يتداخل بعضها في بعض. الذؤابة ـ علاقة قوائم السيف.

(٣) يتيمة الدهر جـ ١ ص ١١٠

(٤) ضن ـ بخل الري ـ بفتح الراء وكسرها ـ الشبع من الماء.

(٥) هزيم ـ صوت الرعد. الودق ـ المطر، ينحل ـ نحل جسمه أي سقم ودق من مرض أو تعب. حكت ـ شابهت.

هذا هو كل ما وجدناه في موضع الجودة والاستحسان من شعره في رأي مؤرخي ونقـاد الأدب القدامي ، وفيـه دلالة على جودة أسلوبه وصوره وثروته اللغوية ، وربما كان هـذا قليلاً من كثير ، ومخلد سيّيء الحظ وقد ضاع منه الكثير !!

ما بقي من شعر مخلد

لم نجد من شعر مَخْلَدَ بنِ بَكّارٍ الموصلي إلا القليل ، وهو في اغراض : الشوق[1] والغزل والمدح والرثاء والهجاء :

في الشوق :

يروي لنا ابو علي القالي البغدادي في كتابه (الأمالي) قطعة لمخلد في الشوق : مخلد يحّث ناقته أو فرسه المهزولة لما فيه من شوق وتحنان ، ويتحثّها على السير به لئلا يبتليها الله بما ابتلاه ، فأخذت تحثّ السير وتجتاز كل مفازة وفلاة مخافة دعوة العاشق المشتاق ، فلما كلّت وفترت ذكّرها وأكّد عليها وهدّدها بالدعاء عليها ، فكان هذا كسوط يلهب جانبها الى ضحوة الغد . فيقول ابو علي القالي[2] [انشدني ابو يعقوب وَرّاقُ أبي بكر بن دُريد ، قال : أنشدني احمد بن عبيد الجوهري ، قال : أُنْشِدْتُ لمخلد الموصلي :

أقولُ لِنِضْوٍ أَنْفَدَ السّيرُ نَيَّها
فلم يبقَ منها غيرُ عظمٍ مُجَلَّدِ[3]

(١) يرى قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) ص ٤٧ أن التشوق من النسيب وليس من الغزل .

(٢) الأمالي جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٣) النضو – المهزول من الحيوان . أنفد – أفنى . نيها – الني هوالشحم الذي على الحيوان من سمنه . المجلد – العظم المجلد الذي لم يبق عليه غيرالجلد .

خذي بي ابتلاكِ اللهُ بالشوقِ والهوى
وشاقَكِ تحنانُ الحمامِ المُغرِّدِ [1]

فمرّت حِذاراً خوفَ دَعوةِ عاشقٍ
تَشُقّ بي الظلماءَ في كلِّ فَدْفدِ [2]

فلما وَنتْ في السّيرِ ثنّيتُ دَعوتي
فكانت لها سَوْطاً الى ضَحْوةِ الغدِ [3]

في الغــزل :

يقول ابن المعتزّ : ومما رويناه لخالد قوله [4] :

[من بحر الرَّمَل]

سائِلي عن كُنْهِ حالي لا تَسَلْ
أنا عن تفسيرِ شأْني في شُغُلْ [5]

كنتُ مَوْصولاً بأسباب القِلى
يدَّريني الهَجْرُ عن قوسِ المَلَلْ [6]

---

(١) شاقك — أهاجك . تحنان — الرحمة ، الشوق .

(٢) الظلماء — شدة الظلام. الفدفد — الفلاة ، المكان الغليظة أو المرتفعة .

(٣) ونت — كلت وفترت وضعفت . ثنيت : أعدت مرة ثانية . الضحوة — ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس .

(٤) طبقات الشعراء ص ٢٩٨ .

(٥) الكنه — جوهر الشيء ، أصله ، حقيقته وغايته . الشأن — ماعظم من الأمور أو الحال .

(٦) القلى — البغض ، وقلاه أي أبغضه وكرهه غاية الكراهة . =

فَجرَتْ تُفاحَةٌ مَعْضوضَةٌ

بين مَنْ أَهوى وَبَيْني فَوَصلْ

لَطُفَتْ لي حُمْرَةٌ في جَنْبِها

حينَ أَوْمَى لِوصالي بالخَجَلْ [1]

جادَ لي بعدَ جِمَاحٍ فَبَدَتْ

لِيَ في خَدَّيْهِ آثارُ القُبَلْ [2]

يا رسُولاً أَوْصَلَ الصَبَّ بِه

عِشْ نَضيرَ الغُصْنِ يا مَوْلى الرُّسُلْ [3]

= يدريني – يخاتلني . وإداره أي ختله ، وإدرى – بتشديد الدال – الصيد ختله أي مشى قليلاً قليلاً لئلا يحس الصيد به .

قوس – القوس : آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام ، وكل شيء منحن فهو قوس .

وفي المعاجم : القوس – صومعة الراهب أو بيت الصياد . ولا أرى لقوس الملل صورة في الحقيقة أو المجاز من هذه المعاني . ولعل الكلمة محرفة من (فرس) – بفتح الفاء وسكون الراء – لأن مخلداً يميل الى استعمال الغريب ، وفي اللسان (الفرس) هو دق العنق ثم كثر حتى جعل كل قتل فرساً ، وفرس الشيء فرساً أي دقه وكسره) فكأنه أراد أن الهجر يخاتله متجاوزاً أو بدلاً عن قتل الملل ، لأن الملل قتال ، و (عن) هنا تعني التجاوز أو البدل .

(١) أومى – اصلها اومأ اي اشار ، جعل الهمزة الفاً للتخفيف .

(٢) جماح – مصدر جمح ، وجمح الرجل اي ركب هواه واسرع الى الشيء فلم يمكن رده .

(٣) الصب – العاشق وذو الولع الشديد . النضير – الحسن . الشديد الخضرة وهو علامة الشباب والقوة والجمال . مولى الرسل : سيد الرسل .

في المـــدح :

يرى قُدامَة بنُ جعفر ٣٣٧هـ ـ ٩٤٨م في كتابه [نقدْ الشعر] في حديثه عن نعت المديح[1] : [إنه لما كانت فضائل الناس من حيث أنهم ناس ـ لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ـ على ما عليه اهل الألباب من الإتفاق في ذلك ، إنمـا هي : العقل والشجاعة والعدل والعفّة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً ، والمادح بغيرها مخطئاً ، وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيـه دون البعض .... فلا يسمى مخطئاً لأصابتـه في مدح الإنسان ببعض فضـــائله ، لكن يسمى مُقـصِّراً عن استعمال جماعِ المـــدح] .

ومخلد الموصلي يصف هـــذه الخصال الأربع : العقل والشجاعة والعـدل والعفة ، في مدحه سليمان بن عِمْراز الموصـلي ، وكأنه يتبع هذه النظرية التي قررها بعض نـقّاد الأدب بعده بزمن طويل .

وسليمان بن عِمران الموصلي ـ من اليمانيين ـ كان قد أبلى بلاء حسناً ، اشتهر به في وقعة (الـميدان) وكانت بين القبائل اليمانيـة والـنزارية في الموصل سنة ١٩٨هـ ـ ٨١٣م . وفيه يقول[2] : من بحر (الخفيف) .

يَـمُوتُ الـصَّفا وتحيـا الـضُجورُ
وَيَبيدُ الـنَّقا ويَنْمي الـفُجورُ[3]

---

(١) نقد الشعر ص ٣٩

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ص ٨٤ ، ٣٣٣ ذكر الازدي الموصلي هذه القصيدة بقطعتين الاولى ص ٨٤ والثانية ص ٣٣٣ ومحقق الكتاب لم يشرح من القصيدة كلها غير كلمتين فقط .

(٣) استعمل الشاعر في مطلع القصيدة ثلاث محسنات من علم البديع : =

= فقد طابق بين (يموت وتحيا) وبين [يبيد وينمي] . والطباق - بكسر الطاء - هو من المحسنات المعنوية ومعناه [الجمع بين الشيء وضده] . وانى بالازدواج بين [الصفا والنقا] والازدواج هـو التشابه في السجع والوزن ، وهو من المحسنات اللفظية . ثم جانس بين [الضجور والفجور] والجناس - بكسر الجيم - هـو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهو من المحسنات اللفظية كذلك ، ثم استعار الموت للصفا والاستعارة من علم البيان . وهذه الصناعة المزدحمة في هـذا البيت جعلته غامضاً معقداً كأنه لغز تصعب علينا معرفة ما يريده الشاعر ، لذا فلابد من شرح معنى كل كلمة ، وقد يكون لبعضها اكثر من معنى واحد ، لعل القارىء يجد المعنى الذي يريده . هذا اذا كان الناسخ موفقاً فلم يحرف او يصحف .

الصفا - جمـع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً ، والصفا من الصفاء . ومصافاة المودة والاخاء ، وهو نقيض الكدر ، جعـله مقصوراً لضرورة الشعر .

تحيا - ضد تموت او بمعنى تخصب اي تنتج الخير والخصب .

الضجور - بضم الضاد - لم اجد معنى لهـذه الصيغة في المعاجم ، ولعلها بفتح الضاد .

والضجور - بفتح الضاد - هو كثير القلق والضجر من غم وضيق نفس. وفي اللسان :

[الضجور : الناقة التي ترغو عنـد الحلب - اي تصيح وتصوت - وفي المثل : الضجور قد تحلب ، يقال للبخيل يستخرج منه المال على بخله] .

يبيد من باد اي هلك .

النقا - القطعة من الرمل مثـل الكثيب . والنقا من النقاء اي النظافة والحسن ، جعـله مقصوراً لضرورة الشعر . والنقا : عظـم العضد وقيـل كل عظم ذي مخ .

ينمي - يزيد ويكثر . وفي اللسان [نمى الصـيد : وذلك ان ترميـه = فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعدما يغيب] .

وَيَهُدُّ البُغضُ .... المُدبِران (م)

يوماً ويَخرَسُ المَوفُورُ (١)

= الفجور – بضم للفاء – العدول عن الحق اوالكذب او ركوب المعاصي ، ولعل الكلمة بفتح الفاء ، والفجور – بفتح الفاء – هو كثير المـــال جداً وفي اللسان [الفجر – بفتح الفاء والجيم – هو المال والفاجر كثير المال] والفجور: صيغة مبالغة بوزن [فعول] .

(١) ارى في هذا البيت الملاحظات التالية ، ولعلها صائبة :

آ – كلمة [البغض] – ضد الحب – جاءت مرفوعة والصواب نصبها لانها مفعول به ، والمدبران فاعل الفعل [يهد] .

ب – الشطر الاول مكسور ، ولم يتنبه اليـه المحقق ، ويحتاج الى كلمـة تأتي بعد [البغض] تكون بوزن [الاذى والاسى والعدى والجوى .... وما اشبه] حتى يكون وزنه من بحر الخفيف وتفعيلاته [فعلاتن مستفعلن فاعلن] – ميزان الذهب ص ٨٢ . ولكن ما هـــذه الكلمة التي ارادهـا الشاعر حتى نستطيع إضافتها ؟ والكلمة المضافة تكون صفة للبغض ؟

المدبران – في اللسان [أدبر النهار : ذهب وأمسى المدبر أي الذاهب] ولعله يقصد بالمدبرين : الليل والنهار أو الزمان نفسه .

جـ – استعمار الهدللبغض كأنه سد أو سور حصين يهده الزمن يوماً ما .

د – الموفور – هو الكثير من المـال والمتاع ، ولعـل صواب الكلمة هو (الموتور) – بالتاء = والموتور هو من قتل له قتيل ولم يدرك بدمه . ومن سياق المعنى وغرض القصيدة نجد ان عبارة [يخرس الموتور] أصح من يخرس الموفور، لأن المال والمتاع الكثير لايخرس وينعقدلسانه ولو على سبيل المجاز أوالإستعارة إلا اذا أراد أنالشيء الثقيل الكثير أخرس لاصوت له بعكس الخفيفالفارغ. أما الموتور فيخرس لسانه اذا وجد قوة أو ازال حقده .

مـــا إنْـتَجعْـنا أبا الـفَوارسِ إلّا

أَمْطرَتْنا من راحَتيهِ بُدورُ[1]

نِعمَ قاصِي العدُوِّ سيفُ سليمانَ (م)

إذا ما سَطا و نِعـــمَ النَّصيرُ[2]

مُجرِّبٌ[3] مُثرِّبٌ[4] حليمٌ جَوادٌ

سَــيِّدٌ أَيِّدٌ عَـفوٌّ غَـفورُ[5]

(١) انتجع – أتى طالباً المعروف . راحتيه – كفيه ، ومن الواجب ، حتى يتم وزن الشطر ، ان نلفظ كسرة الهاء بأشباعها كأنها صوت اليـاء ، أو بأضافة [أل] على كلمة [بدور] . بدور – جمع بدرة – بفتح الباء ، وهي: الكمية العظيمة من المال أو كيس فيه كمية من المال .

(٢) قاصي العدو – مبعده . سطا عليه : وثب عليه وقهره .

(٣) مجرب – الشطر الأول مكسور الوزن وسببه ان المحقق حسب كلمة [مجرب] من التجربة ، وهي اســم فاعل والصواب انهـا [محرب] – بكسر المـيم وسكون الحاء وفتح الراء وتخفيفها – والمحرب – بالحاء – هو الشجاع والعارف بالحروب وهي صيغة مبالغـة بوزن [مفعل] . وفي اللسان [رجل محرب أي محارب لعدوه .... معروفاً بالحروب عارفاً بهـــا وهو من ابنية المبالغة] .

(٤) مثرب – ثم توهم المحقق بها وشرحها بقوله [ثرب عليه – بتشديد الراء – لامه وعيره بذنبــه وذكره به] والصواب هو [مترب] – بالتـاء – اسم فاعل من الفعل [اترب] – بالتاء – أي كثر ماله كأنه صار له من المـال بقدر التراب . والمثرب – بالثاء – هو المفسد المخلط ، وليس هـذا هو المقصود بل أراد الشاعر انه شجاع محارب وغني وحليم وجواد . واذا صححنا الكلمتين يكون الوزن [فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن] وهو من [الخفيف] .

(٥) الأيد – القوي .

أَحلمُ الناسِ ثمَّ إنْ سِيمَ ضَيْماً

جَهرَ السيفَ حقْدُهُ المأْثورُ (١)

ولِيومِ الميدانِ منهُ ثناءٌ

لا تُعفّيهِ في الحياةِ الدُّهورُ (٢)

يومَ آتت بنو زهيرٍ حُماةً

ورحى الحربِ بالمنايا تدُورُ (٣)

فتلقّاهُم ببأسٍ وجأشٍ

ويدٍ سمحةٍ نداها يمُورُ (٤)

وبرِجلينِ لم يُباشِرْهُما إلّا (م)

مُصلّى ومِنبَرٌ وسَريرُ (٥)

---

(١) سيم ضيماً – سامه الضيم : أذله الظلم . جهر السيف – كشفه وعظم في عينه ، المأثور : القديم .

(٢) تعفيه – تمحوه .

(٣) بنو زهير – عشيرة . الحماة – جمع الحامي وهو المانع والمدافع . المنايا : جمع منية وهي الموت .

(٤) البأس – الشجاعة ، القوة . الجأش – القلب ، الصدر ، ويقال : رابط الجأش أي شجاع . سمحة – مؤنث سمح أي جواد معطاء . ويد سمحة كناية عن كثرة النعمة والعطاء . – الندى – الجود والفضل والخير . يمور – يجري ويتحرك بسرعة .

(٥) يباشر – باشر بالأمر أي تولاه بنفسه . السرير – يقصد سرير الملك أو العز أو المجد .

أو نِزالٍ لدى الكُماةِ اذا ما

ضاقَ لِلكَرِّ مَسلكٌ مَهجُورُ[1]

ويقول قُدامَةُ بن جعفر ايضاً في حديثه عن : باب المعاني الدال عليها الشعر :["[2] إني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما : الغُلُوُّ في المعنى اذا شرع فيه والاقتصارُ على الحدّ الأوسط فيما يقال منه ... فأقول : إن الغُلُوَّ عندي أجود المذهبين : وهو ما ذهب اليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً . وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر اكذبه ، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم .... وكذلك كل غالٍ مُفرطٍ في الغُلُوّ اذا أتى بما يخرج عن الموجود ، فإنما يذهب فيه الى تَصييره مَثلاً] .

وكذلك يحدثنا ابن رَشِيق ٤٥٦ هـ - ١٠٦٣ م في كتابه (العُمدةُ) في (باب الغُلُوّ) بقوله[3] : [قال الحاتمي[4] : وجدت العلماء بالشعر يعيبون على الشاعر أبيات الغلو والإغراق ، ويختلفون في استحسانها واستهجانها ، ويُعجَبُ بعضمنهم بها ، وذلك علىحسب ما يوافقطباعه

---

(١) النزال – المقابلة والمقاتلة فيالحرب . الكماة – جمع كمي وهوالشجاع أو لابس السلاح . الكر – كر الفارس على العدو أي حمل وانقض عليه . مسلك – طريق .

(٢) نقد الشعر ص ٣٥ – ٣٨ .

(٣) العمدة جـ ٢ ص ٥٨ . الغلو – المبالغة . الإغراق – بكسر الهمزة – المبالغة والاطناب .

(٤) الحاتمي : هو ابو علي محمد بن الحسن المظفر الحاتمي : من حذاق أهل اللغة والأدب ، نشأ في خدمة سيف الدولة واجتمع هناك بأبي علي الفارسي =

واختياره ، ويرى أنهـا من ابداع الشاعر الذي يوجب الفضيلة له ، فيقولون : أحسن الشعر اكذبه ، وإن الغلوّ انمـا يراد به المبالغة والإفراط ، وقالوا : اذا أتى الشاعر من الغلوّ بمـا يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم ، فإنما يريد به (التمثّل وبلوغ الغاية في النعت) واحتجّـوا بقول النابغـة وقد سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : من أُستُجيد كذبه وأضحكَ رديئُه . وقد طعن قوم على هـذا المذهب بمنافاته الحقيقة وأنه لا يصح عند التأمّل والفكرة] .

ثم يستمر ابن رشيق فيقول[1] : [وزعم بعض المعقّبين أن الذي كثّر هذا الباب أبو تمام وتبعه الناس بعده ، وأين ابو تمـام مما نحن فيه ؟ فاذا صرت الى أبي الطيب ـ المتنبي ـ صرت الى اكثر النـاس غُلوّاً وأبعدهم فيها همّـة ، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتاً واحداً ، وحتى تبـلغ به الحال الى ماهو عنه غِنى ، وله في غيره مندوحة ... وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بـ (كاد) أوما شاكلها نحو : كأنّ ، ولو ، ولولا .... ولغـة القرآن افصح اللغات ، وانت تسمع قول الله تعـالى

= وابن خالويه وأبي الطيب المتنبي وغيرهم ، وله كتب كثيرة اكثرها في صناعة الشعر وفي اللغة ، وله كتاب [الموضحة في مساوىء المتنبي] وفيها يحصي أبيات المتنبي التي اخـذ معانيها من ارسطو ، فيورد البيت ومعـه قول ارسطو ، وقد اجتمع بالمتنبي في بغداد وناظره ، وينقـل ياقوت الحموي تلك المناظرة ، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ وقد كان من اثقف نقاد الأدب ، ومن المؤسف ضياع معظم ما ألفه ـ معجم الأدباء لياقوت جـ ١٨ ص ١٥٤ . كتاب النقد المنهجي عنـد العرب ص ١٥٥ .

(١) العمدة جـ ٢ ص ٦٠ .

(يكاد البرقُ يخطَف أبصارهم) وقوله [اذا اخرج يده لم يكد يراها ....] .

ومخلد الموصلي كان على هذا المذهب ، فقد غالى وبالغ في مدح السيد ابن أنس التليدي الأزدي الموصلي ، وكان والياً على الموصل واعمالها سنه ٢٠٢ هـ ـ ٨١٧ م الى سنة ٢١١ هـ ـ ٨٢٦ م . ومخلد ينتمي بالولاء للأزد ، والسيد حاكم بأمره في المنطقة كلها في خلافة المأمون ، وكان فارساً شجاعاً ، وفيه يقول(١) :

أَمّا الِجبالُ فقد رأيتُ مُلوكَها
لا يَحلِفون اذا خَلَوْا بِسواكا(٢)

لوْ طَوّفتْ بالبيتِ واعْتَمرتْ به
لم تَخشَ خالِقَها كما تَخشاكا(٣)

قُل لِلّذي يبغي عَداوةَ سَيّدٍ
إيّاكَ وَيْلَكَ والرَّدى إيّاكَ(٤)

وقد بالغ مخلَدٌ في مدح (تَليدٍ) عشيرة السيد بن أنس التليدي فقال(٥) :

---

(١) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) كانت الجبال المحيطة بالموصل تابعة لها والوالي يشرف عليها ، والملوك هم الشيوخ والرؤساء .

(٣) البيت — هوالبيت الحرام . اعتمرت — اعتمر بالمكان قصده وزاره والعمرة : هي أفعال مخصوصة تسمى بالحج الاصغر .

(٤) الردى — الهلاك . وفي هذا البيت تحذير وتأكيد عليه .

(٥) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٤٢٣ .

تَليـــدٌ في أنامِلهـــا رِمـــاحٌ
تَلَـفَّظُ في أَسِنَّتـِها الـمَنُـونُ[1]
ومَنْ يَبغِ اسْتِباحَتَهم يَزُرْهُمْ
فَهُمْ أُسْدٌ وحِبْتُـونُ العَرينُ[2]
فـلا تَقرَبْ حَريمَ بني تَليـــدٍ
فإنَّ المـوتَ دونَهُـم كَمِينُ[3]

ويظهر أن الزمن قد قسا على مخلد الموصـــلي لذلك شكا حاله الى (مالِكَ بنِ طَوْقٍ) والي الموصل سنة ٢١٤هـ ـ ٨٢٩م حتى ســـنة

(١) الأنامل – رؤوس الاصابع ، مفردها أنملة . تلفظ – أصلها تتلفظ ، حذفت إحدى التـاءين لتخفيف اللفظ ، ولفظ تعني قذف ورمى . الأسـنة : جمع سنان – بكسر السين – وهو نصل الرمح . والمنون : جمع منية أي الموت.

(٢) جاءت عبـارة [ومن يبغ استباحتهم] في الكتاب بهـذا الشكل [ومن يبغي استباحهم] والصواب ما ذكرناه وهو أن تكون (يبغ) بحذف الياء لانها فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العـلة . واستباحتهم مصدر استباح وليس (استباحهم) كما جاء في الكتاب ، واستباح القوم استأصلهم ، وقـــد قصدنا التصحيح مباشرة مخافة الالتباس

حبتون – بكسر الحاء – جبل بنواحي الموصل وهو أعجمي لا أصل له في العربية . معجم البلدان ج ٢ ص ٢١١ . العرين – مأوى الاســـد ، ومعنى الشطر الثـاني أنهم أسود وجبل حبتون عرينهم وكان السـد بن أنس وقومه يسكنون هذا الجبل تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣١٥ .

(٣) الحريم – ما يدافع عنـه الرجل ويحميه . الكمين : القوم يستخفون في مكمن ثم ينتهزون فرصة ليهجموا على العدو .

٢١٦ هـ - ٨٣١ م و[1] [كان مالك بن طوق رجلاً نبيلاً له لُبٌّ و وقار وجلالة] . وفي ولايته الموصل كان حازماً شديداً في أحكامه عارفاً قيمة نفسه لا يحفل بمدح الشعراء كثيراً ، وكان في حالة عُسر لقـلّة المال الذي لديه بدليل ما رواه الأزدي عن دِعْبِـــلٍ الخُـزاعي الشاعر الهجّـاء عندما كان في الموصل في مجلس مالك ، وجاءه أعرابي ينشده قصيدة طويلة - ذكرها الأزدي[2] - ، ولما لم يبلغ الشاعر منه ما أراد من عطاء هجاه . و دِعْبل الخُـزاعي نفسه ، لم يحظ من مالك بشيء مما أراد من جاه[3]

لذلك عندما شكا مخلد حاله كان عارفاً نفسية مالك بن طوق ، فبدأ قصيدته بالثناء على أصله و نسبه و بيتـه ثم عرض حاله و ما فعل الدهر به و بعياله بأسلوب يستدرّ العطف ثم ختمها بالثناء على شجاعة مالك و على إغاثته لكل من تضيق به المسالك و الدروب .

يقول ابو زكريا الأزدي[4] : رفع مخلد بن بكار الشاعر الموصلي الى مالكَ بنِ طَوقٍ وهو والي الموصل رُقعة في مظلمة له ، فيها :

من بحر (الطويل) .

---

(١) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٣) يروي لنا أبو هــــلال العسكري في كتـابه (ديوان المعـــاني) ج ١ ص ١٨١ هجاء دعبل الخزاعي لمالك بن طوق بقوله :

الناس كلهم يسعى لحاجتـــه ... ما بين ذي فرح منها ومهموم
ومالك ظـل مشغولاً بنسبته ... يرم منهـا خراباً غير مرموم
يبني بيوتاً خراباً لا أنيس بها ... ما بين طوق الى عمرو بن كلثوم

يرم - بتشديد الميم - يصلح .

(٤) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٩٦ والقصيدة ناقصة وليس لها مطلع .

سَموْتَ الى الأصلِ الذي الحُوتُ أُسُّهُ
وأَفراعُه فوقَ السِماكِ سَمائِكُ[1]

وبيتٌ بَناهُ كُلَيْبٌ وَوائِلٌ
وعَمْرٌو وكُلثومٌ وطَوْقٌ ومالِكُ[2]

أولاكَ بُناةُ البيتِ لا تستطيعُه
يَدٌ تُمطِرُ الجَدْوى وأبيضُ فاتِكُ[3]

---

(١) الحوت — برج في السماء . أفراعه — في الكتاب بفتح الهمزة والصواب بكسرها لانها ليست جمع (فرع) ، وجمع فرع هو فروع ، جمع تكسير ، ولا يجمع غير هذا الجمع ففي اللسان (فرع كل شيء أعلاه والجمع فروع ولا يكسر على غير ذلك) . وافراع — بكسر الهمزة — مصدر الفعل (افرع) بمعنى : طال وعلا ، والإفراع هو العلو .

السماك — في اللسان (نجم معروف والسما كان نجمان هما السماك الاعزل والسماك الرامح) . سمائك — جمع سماكة — مؤنث سماك — وذلك اذا أردنا القياس على عصابة — بكسر العين — عصائب ، ودعامة — بكسر الدال — دعائم . ولم اجد في المعاجم جمعاً لسماك ، وربما كانت سمائك جمع تكسير لسماك ، لان جمع التكسير سماعي . ومعنى البيت — ارتفعت الى الاصل الذي أساسه برج الحوت وعلوه يصل الى سمائك بعيدة فوق السماك .

(٢) البيت — في اللسان : بيت العرب شرفها وبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة وبيت الرجل عياله .

بناه — هذه الكلمة كسرت الشطر وحولت التفعيلة (مفاعيلن) الى (فعولن) ولعل اصل الكلمة (تبناه) ، وتبناه أي اتخذه إبناً كناية عن الرعاية والعناية والحفاظ عليه ، وبذلك يتم الوزن والمعني .

(٣) الجدوي — العطاء ، وكانت في الكتاب بالذال أي الجذوي وهو خطأ مطبعي . أبيض فاتك — السيف القاطع .

فاصبحَ في عَلْيـاءَ لا شيءَ فوقَهـا
يَطُولُكَ إلاّ اللهُ ثمّ المَـلائِكُ [1]

فمـالي ـ وبَيْتي في ذراكَ ـ ترُوعُني
مَظالِمُ قدْ مارَتْ عليهـا الـتّرائِكُ ؟ [2]

دَرى اللهُ أني لم أُنلْـهُنّ مـا خَـلا
شَجا مَجاري الرّوحِ والنّفسَ ماسِكُ [3]

---

(١) يطولك ـ يعلو عليك .

(٢) الذرى – الملجأ وكل ما استترت به . تروعني – تفزعني . مارت – تحركت بسرعة . الترائك ـ جمع تريكة ، وقد فسرها محقق الكتاب بقوله : التريكة بيضة الحديد للرأس . ويقصد الخوذة التي يضعها الجندي على رأسه . وفي اللسان (التريكة هي المرأة التي تترك لا تزوج) . ومن سياق معنى البيت وما جاء بعده نجد الشاعر قد قصد بناته العوانس غير المتزوجات وهن مظلمته الحقيقية ، ولم يقصد بيضات الحديد كناية عن شدة المظالم . ثم انه جاء بكلمة (ترائك) مرة ثانية بعد ستة ابيات وهناك تعني بيضة الحديد كناية عن الحماية ، والشاعر يعاب عليه اعادة اللفظ نفسه بمعناه ذاته في القافية ، وفي اللسان (ويرى البعض أنه مهما كانت المسافة بين الابيات فهو عيب لانه عندهم دليل قلة مادة الشاعر وثروته اللغوية) .

(٣) هذا البيت مضطرب وفيه الملاحظات التالية :

أ ـ أنلهن ـ بفتح الهمزة ـ من الفعل (نال ؛ أي حصل على الشيء ، والصواب بضم الهمزة من الفعل الرباعي (أنال) ، وأنلهن ـ بضم الهمزة ـ أي اصيرهن يحصلن على الشيء ، والضمير يعود على الترائك ، بناته غير المتزوجات .

الشجا ـ ما اعترض في الحلق من عظم وغيره . مجارى ـ جمع مجرى اي ممر .
=

أتاهُ الدَّهـا الكَـفّارُ قبـــلَ ابْـتعادِه
ومنْ قبلِ أنْ يَسْـوَدَّ منهُ الحَـواسِكُ [١]

فاسْرَح فيهــا حاشِــراً ووَراءَه
فَرِيقٌ يُعَفّي كُلَّ مـا هو تارِكُ [٢]

مُسوحٌ اذا تَضحَى تَنَشَّرُ لِلْقِرى
وبالليـل سَـخلٌ أو فِصالٌ بَوارِكُ [٣]

---

(١) الدهـا – لعله يقصد الدهاء ، وإلا فلا معنى للكلمة بهذه الصيغة ، وقد حذف الهمزة لضرورة الشعر . في اللسان [تقول : ما دهــاك ؟ أي ما اصابك ؟ وكل ما اصابك من منكر من وجه المأمن فقد دهاك دهياً ، والدهي لغة في الدهاء] وفي مختــار الصحاح [الدهاء هو النكر – أي الأمر الشديد العظيم – ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم المصائب] . وهـذا المعنى يوافق سياق البيت فهو يريد أن يقول : أتاه الأمر العظيم والمصيبة الكبرى .

الكفار – الشديد التكفير الذي يخرج الإنسان من ايمانه . ويقصد شـدة المصيبة أو الامر العظـيم . ابتعـاده – تأتي (بعد) بمعنى هلك ومــات ، وللمطاوعة نقول (ابتعد) ولعله يقصد أتاه الامر العظيم قبل موته ، ولا يقصد قبل بعده عنه ، وذلك اقرب المعنى .

الحواسك – جمع حسيكة . في القاموس (الحسك والحسيكة : الحقـد والعداوة) . والحواسك الاحقاد والعداوات .

(٢) أسرح – جرى جرياً سهلاً . حاشراً – الحاشر هــو الجامع أو المهلك . في اللسان (حشرت السنة مال فلان أي اهلكته) . الفريق – الطائفة أو الجماعة ، وربما قصد اهل بيته . يعفي – يمحو .

(٣) مسوح : جمع مسح – بكسر الميم وسكون السين – وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البــدن تقشفاً وقهراً للجسد . وقد استعار المسوح لهن =

فمــا رامَ حتّى اشْتَقَّهُ تَـبْراً بـهِ
فأصبحَ دِرْعي وهو مَحْلٌ دَكادِكُ (١)
وكرَّ عليـــه في الرجـوعِ فعـاثَـهُ
كما عاثَ في أرضِ أذرَبيجانَ بابَكُ (٢)

= لوصف حالتهن من الفقر فشبههن بالرهبان المتقشفين .

تنشر – اصلها تتنشر ، حذفت إحدى التاءين لخفة اللفظ ، وتنشر أي انبسط . القرى – ما يقدم للضيف . السخل – جمع سخلة ولد الشاة .

الفصال – جمع فصيل ، ولد الناقة اذا فصل عن أمه . البوارك – جمع باركة من الفعل (برك) ، وبرك البعير اذا استناخ ولصق صدره بالارض .

(١) مارام – رام يريم بالمكان أو بالمكان أي زال عنه وفارقه . يقال : مارام يفعل كذا أي ما زال ، وهي تعمل عمل كان . وتأتي بمعنى ما برح .

اشتقه – اشتق الشيء اخذ شقه – بكسر الشين – أي جانباً واحداً منه: وفي اللسان : اشتق الخصمان أي اخذا في الخصومة يميناً وشمالاً مع ترك القصد ، ولعله قصد هذا . تبراً – التبر – بسكون الباء – مصدر الفعل (تبر) – بفتح الباء – وتبره اهلكه وكسره . لكن هذه الكلمة كسرت الشطر ، وحولت التفعيلة (مفاعلن) الى (فاعلن) ولعل الصواب هو (تابراً) أي هالكاً ، اسم فاعل ، وبذلك يستقيم الوزن والمعنى . هذا اذا لم تكن الكلمة مصحفة أو محرفة . درعي – الدرع قميص من زرد الحديد ، وهذه الكلمة لا مناسبة لوجودها ، ولعلها محرفة من (زرعي) – بالزاي – والمعنى : اصبح زرعي محل مجدب في ارض لا تنبت شيئاً كناية عن افلاسه وعدم وجود مورد لعيشه ، ولا علاقة للدرع بالمحل وبالارض الدكادك .

المحل – الجدب . دكادك – جمع دكدك او دكداك وهو من الرمل ما تكبس او الارض الغليظة .

(٢) كر عليه – رجع وانقض عليه . عاثه – افسده . اذربيجان – =

وقد كان فَيءُ كلِّ والٍ وإنْ نأتْ

منازِلُه عني يَداً وتَرائِكُ (١)

ولمْ يَكُ يُدعى مثلَ طوقٍ ومالِكٍ

إذاً ليومٍ وهو أسوَدُ حالِكُ (٢)

ـ اقليم معروف في شمال العراق وايران ، وتلفظ همزتها همزة وصل لضرورة الشعر .

بابك ـ هو بابك الخرمي وقد خرج على الخلافة العباسية ، وولاية مالك ابن طوق كانت زمن خروج بابك ، وقد شبه حالته بما فعله بابك في البلاد .

(١) الفيء – في اللسان [الفيء : الظل وفي الحديث : الفيء على ذي الرحم أي العطف عليه والرجوع اليه بالبر] وفي الكتاب جاءت مرفوعة والصواب نصبها – بالفتحة – لأنها خبر مقدم للفعل (كان) ولو كانت إسمها لقلنا في الشطر الثاني (يداً وترائكا) – بنصب ترائك – وهذا يغير القافية لان الحرف الروي هو الكاف المضمومة ، فاذا قلنا (ترائكا) حصل عيب في القافية هو (الإقواء) . نأت – بعدت . يداً – صوابها (يد) بالرفع إسم كان مؤخر وهي كناية عن النعمة والعطاء . ترائك – جمع تريكة وهي بيضة الحديد توضع على الرأس كناية عن الحماية . ومعنى البيت : كانت النعمة والإحسان والحماية هي من عطف وبر كل وال وإن بعدت صلته وعلاقته بي .

(٢) اذاً – هذه الكلمة كسرت الشطر وحولت التفعيلة (فعولن) الى (فعو) وليس لها مناسبة في سياق المعنى ، ولعلها محرفة من كلمة (أذاناً) – بفتح الهمزة – أي إعلاماً من الفعل (أذن) أي علم ، وبذلك يتم الوزن والمعنى . في اللسان (أذن به أي علم به ، وقوله عز وجل : وأذان من الله ورسوله الىالناس أي إعلام ، والاذان يقوم مقام الإيذان وهوالمصدرالحقيقي) . ومعنى البيت : لم تكن دعوة أي شخص كدعوة طوق ومالك إعلاماً عن طلب الإغاثة في يوم أسود حالك – شديد السواد – كثير المصائب .

سُيوفُ ابنِ طَوْقٍ في الوَغى جُشَمِيَّةٌ
بُلِينَ الى ما تحت الطِّعانِ العَواتِكُ (١)

إذا اسْتَلَّهـا المِقْدارُ يومَ مَنِيَّةٍ
تولّى بمن أرْدَتْ الى النـارِ مـالِكُ (٢)

الى مالِكٍ يَرْمي العُلا كُلُّ مُمْلِقٍ
فَيَثْرَى إذا ضاقَتْ عليه المَسالِكُ (٣)

---

(١) الوغى – الحرب . حشمية – نسبة الى جشم احد اجداد مالك .

بلين – بلي الثوب أي رث والضمير يعود الى السيوف . الطعـان – التطاعن في الحرب والتضارب . العواتك – في اللسان : العاتكة : القوس اذا قدمت واحمرت . والجمع عواتك .

والشطر الثاني مكسور سببه زيادة كلمة (الى) والصواب مجيء (الواو) بدلها ليتم الوزن والمعنى ويكون الشطر (بلين وما تحت الطعان العواتك) والواو تكون حالية أو استئنافية .

(٢) استل – انتزع واستل الشيء انتزعه واخرجه برفق .

المقدار – في اللسان (المقدار هو المقياس ، المبلغ ، الموت) . اردت الى النار – أي اردته الى النار ، حذت المفعول به الضمير لانه معروف . وأردته أي اسقطته واهلكته .

مالك – يقول المحقق لعله يقصد بمالك هذا مالكاً خازن النار ، ويقابله رضوان خادم الجنة ، ورأيه صائب .

(٣) يرمي العلا – يقصد العلا . في المعاجم : رمى المكان قصده . كل – في الكتاب منصوبة والصواب رفعها لانها فاعل الفعل : يرمي . المملق – المفتقر ، واملق أي افتقر . يثرى – يكثر ماله فهو ثري . المسالك – الطرق .

في الرثاء

مخلد الموصلي ، في الرثاء ، رقيق العاطفة ، صادق الشعور ، يهتز للأحداث والاشخاص ، لا يتأثر بعصبية ولا بولاء . رثى عليّ بن الحسن الـهَمْداني ـ من اليمانيين ـ وكان صوفياً متنسِّكاً ، وقد تحدثنا عن مقتل أبيه الحسن بن صالح الهمداني عندما خرج الى بعض اعمال الموصل وكان والياً عليها سنة ١٩٣ هـ ـ ٨٠٨ م فأجتمعت عليه قبيلة (عَنَزَة) ـ وهي من العدنانية ـ فقتلته ،[1] [واتصل الخبر بعلي بن الحسن وكان متنسكاً قد لزم المسجد يقرأ على رجل يكنّى أبا قحطان ، فأتاه الخبر ومعه عشرة نفر من الصوفية وابو قحطان المقرىء ، فقام عليٌّ وقاموا معه فاظلم بصره ـ فيما ذكروا ـ فجال في المسجد وجالوا معه وهو قابض على لحيته ، وهَمَّ أن يطرح نفسه من المسجد الذي كان فيه ...] ويروي ابو زكريا الأزْدي أنه قال[2] : [إني أرضى بقضاء الله وقدره واصبر عليه ، وأخذ بلحيته نفسه وجذبها ، وقال: يُقتل أبي ؟ والله لأوْرِدَنَّها النار] ثم جمع جموعه وصاروا الى بلد عَنَزة فقتلوا خلقاً منهم .

ثم تطور الحال بعلي بن الحسن ، وفي سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٣ م اصبح والياً على الموصل واعمالها من قبل (طاهر بن الحسين) في خلافة المأمون

---

(١) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣١٤ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣١٤ .

حتى سنة ٢٠٢ هـ ـ ٨١٧ م . وحدثت بين اليمانية ـ جماعة علي بن الحسن الهمداني ـ والنزارية ـ جماعة السيد بن أنس التليدي ـ فتنة كبيرة اشتدت فيها العصبية ووقعت بينهم حرب عنيفة قُتل فيها علي بن الحسن[1] [ورجع السيد ـ بن أنس ـ ومن معه من الأزد الى الموصل برؤوس بني الحسن] سنة ٢٠٢ هـ . تألم مخلد لهذا الحادث الفظيع ورثى علي بن الحسن وجماعته وحثّ اليمانية ـ القحطانيين ـ على الأخذ بالثأر على الرغم من انتمائه بالولاء للأزد . لكن مزاج مخلد الموصلي ورقة شعوره وتألّمه مما حدث من فظاعة ، كل ذلك دفعه الى الرثاء والحثّ على نُصرة المظلوم[2] ، [فبلغ السيد بن أنس شعره فآلى أن يقتل مخلداً ، وقال : لو حرّض على غير عشيرتي لم أحْفَلْ به] .

ومخلد يقول في رثاء علي بن الحسن وجماعته[3] :

(من بحر الخفيف)

يا طُلولَ النَّدى عليكِ السّلامُ
كَلِّمينا وأينَ منكِ الكلامُ[4]
أخطأَ الدهرُ فيكِ لا سَلِمَ الدّهرُ (م)
وجارَتْ في صَرْفِها الأيامُ[5]

---

(١) المصدر ج ٢ ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦ .
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٩ وقد اعدنا هذه العبارة كدليل على مزاجه .
(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٨ .
(٤) الندى ـ الجود والفضل والخير .
(٥) جارت ـ ظلمت . صرف الأيام ـ نائبتها وحدثها .

واقْشَعَرّتْ لِهدْمِكِ الأرضُ شَجْواً

وبكى للسماءِ دَمْعٌ سَجامُ [(١)]

ليتَ شِعْري أَيَرْجعونَ اليها

قبلَ يَقْضي عليَّ هذا السَّقامُ [(٢)]

لي أنينٌ عالٍ اذا ما هَوى النجمُ (م)

كما يَهدِرُ الحَمامَ الحَمامُ [(٣)]

لو عُشَيْرُ الذي ألاقي على رُكْنٍ (م)

شَمَامٍ إذاً لَذابَ شَمامُ [(٤)]

(١) اقشعرت الارض – تقبضت وتجمعت اذا لم ينزل عليها المطر . شجواً – حزناً . سجام – كثير ، غزير .

(٢) يقضي – اصلها (أن يقضي) حذفت (أن) الناصبة . جاء في كتاب (مغني اللبيب) لأبن هشام ج ٢ ص ٦٤٠ [حذف أن الناصبة هو مطرد في مواضع معروفة وشاذ في غيرها والفعل ينصب ويرفع واذا رفع بعد إضمار (أن) سهل الأمر ومع ذلك فلا يقاس عليه ومنه الآية : أفغير الله تأمروني أعبد – أي أن أعبد – وتسمع بالمعيدي خير من ان تراه ، والاصل ان تسمع ،] السقام – المرض .

(٣) هوى النجم – سقط ، وقد استعار النجم للممدوح .

يقول المحقق عن الشطر الثاني (كما يهدر الحمام الحمام) : لعل كلمة الحمام الثانية تأكيد للأولى . وقد نصب الكلمتين ولكن هذا ليس صواباً ، لأن المؤكد – بكسر الكاف – يتبع المؤكد – بفتح الكاف في علامة اعرابه ، والحمام الأولى منصوبة والثانية مرفوعة . والصواب هو ان الاولى مفعول به والثانية فاعل للفعل يهدر . وهدر الحمام صوت ، فكأن الحمام يصوت للثاني ويبكي وهذا ما يفعله الحمام .

(٤) عشير : تصغير عشر ، واحد من عشرة . ركن ، جعلها المحقق =

ليتَ شعري أعندَكُمْ مِثلُ حُزْني
حِـــلٌّ ربيّ اذاً عــلَيَّ حَرامُ[1]

آل قَحْطانَ فاغْضَبوا ـ غَضِبَ اللهُ (م)
عليكم ـ مِثْلَ الكرامِ وحامُوا[2]

أُسْدُ غِيلٍ اذا خَلَوْتُمْ ولكنَّكُمُ (م)
ســاعــةَ الوغــى آرامُ[3]

ليس يَشْفي النُفوسَ لَمسُ كَعُوبٍ
وقِيــانٌ خَرائـدٌ ومُــدامُ[4]

لا ولا مُرْهَفُ الحُسامِ اذا مــا
لم يُعِنْ شَفْرَتَيْهِ قلبٌ حُسامُ[5]

= في الشطر الثاني وهذا خطأ لان البيت مدور . شمام — جبل بالعالية من جهة نجد من المدينة الى تهامه .

(١) الحل — الحلال ، أي ما حلله ربي حرام علي لحزني عليهم .

(٢) حاموا — فعل أمر من (حامى) أي دافع ومانع .

(٣) الغيل — الاجمة ، الشجر الكثير الملتف ، والاسود في مثل هذا المكان تكون شرسة . الوغى — الحرب . آرام — جمع رئم وهو الظبي الابيض.

(٤) كعوب : لم اجد لهذه الكلمة معنى في المعاجم ولعل صوابها (كعاب) . في اللسان : الكعاب المرأة حين يبدو ثديها للنهود — أي للبروز والإشراف . القيان — جمع قينة وهي الامة أو المغنية . خرائد — جمع خريدة وهي المرأة البكر التي لم تمس قط . المدام — الخمرة .

(٥) مرهف — سيف مرهف أي مرقق الحد . الحسام — في الكتاب جاءت نكرة بدون (أل) وبذلك كسرت الشطر وغيرت التفعيلة الثانية =

ويرى قدامة بن جعفر[1] [إنه لا فصل بين المديح والتأبين إلّا في اللفظ دون المعنى ، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يجري الأمر فيه على سبيل المديح] ثم يورد أبيـاتاً يحللها ويثني على قائلها لأنه أتى بالفضائل الأربع التي حددها في المـدح وهي : العقل والشجاعة والعفة والعدل .

ومخلدالموصلي في رثائه السيد بنأنس التليدي ، كان صادقالعاطفة، موجع القلب ذا لوعة وحسرة على مقتله وفقده . وقد ذكر فيه هـذه الفضائل الأربع التي حددها قدامـة بن جعفر ، فجاءت مَرْثِيَتُه معبّرة عن لوعته وصدق تعبيره .

كانالسيد بن أنس والياً على الموصل وأعمالها منقبل الخليفة المأمون من سنة ٢٠٢ هـ ـ ٨١٧ م حتى سنة ٢١١ هـ ـ ٨٢٦ م ، وهو موصلي ومن بيت له مكانة في قومه ، وكان فارساً شجاعاً كريماً عفيفاً .

ويحدثنا ابو زكريا الأزدي عنه بقوله[2] : [حدثني محمد بن الحسن قال : حدثني عبدالله بن رُوَيْمٍ قال : سمعت أبي يقول : صُبَّ يوماً بين يدي السيدخمسمائة الف درهم ، فجعل يفرقها علىالرجال وعليه جُبَّةُ مُلْحَم ـ جنس من الثياب ـ وتحتها قميص قد تخرَّقَ كُمُّهُ فيكفّه بيده ـ يجمعه ويضمه ـ ويدخله الى كُمِّه ، حتى فرّقه وهو يقول :

= (متفعلن) ، وقد صححناها لتكون واضحة . لم يعن ـ لم يساعد من الفعل [اعان] أي ساعد . الشفرة ـ حد السيف . قلب حسام ـ اي قلب كالسيف القاطع .

(١) نقد الشعر ص ٦١ .

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٥٥ .

زِنْ لفلان كذا وزن لفلان كذا ، ويشير بيده فيظهر الخَرْقُ ، حتى فرّق المال عن آخره . فقلت لِمُعَلّقٍ التليدي : ياعمِّ ألا يشتري لنفسه من هذا المال قميصاً بدينارين ويستريح من هذا الخَلَقِ ؟ فقال السيد لِلمُعَلِّق : بايِّ شيء سارَّك رُوَيْمٌ ؟ فاخبره المعلّق . قال السيد : لو كانت همّتي في اللباس لبالغت فيه ، ولكن همّتي في إعزاز الوليّ وإذلال العدو] .

هذه هي سيرة السيد في ولايته الموصل . وكان سبب مقتله كما يحدثنا ابو زكريا الأزدي في اخبار سنة ٢١١ هـ بقوله[1] [خرج السيد لحرب زُرَيْق بن علي بن صَدَقة الموصلي الأزدي ـ بطلب من المأمون ـ في أربعة آلاف ، وجمع زريق أربعين الف فارس وراجل .... وكان من عادة السيد اذا تراءت الخيلان أن يكون أول من يحمل ، فطرح عمامته ودعا الى نفسه ، فحمل وحمل عليه رجل ... فتصادما جميعاً ... فقتل].

فقال في ذلك مخلد الموصلي يرثيه[2] :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثلِه

من فارسٍ لَقِيَ الكَتيبَةَ أوْحَدا[3]

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٧٣ . كان زريق بن علي قد طلب من المأمون محاربة بابك الخرمي فجمع له الجيوش وتقدم نحوه ، لكن الشتاء قسا عليه وعلى جيشه فترك محاربة بابك واستقر في ارمينيا واذربيجان واخذ يجمع خراجها ويستقل بها لذلك حاربه السيد .

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٣) الكتيبة ـ قطعة من الجيش او الجماعة من الخيل .

فيردُّهـا في شـدَّةٍ مُتقـدِّمـا

ويظلُّ بين حُماتِهـا مُترِدِّدا[1]

خانَتْهُ أطراف الرِّماحِ فلمْ يَرِمْ

مِنْ مَعزِلِ الأَزْديِّ حتى قُدِّدا[2]

ما كانَ سَيِّدَ قَوْمِـهِ لكنَّه

قدْ كانَ فارِسَهُمْ فَسُمِّي السَّيِّدا

هذه قطعة من قصيدة لم يذكرها كلهـا ابو زكريا الازدي . ثم رثى مخلد الموصلي السيد بن أنس بقصيدة أُخرى ، وهي[3]

(من بحر الطويل)

ذرى مَرْبعاً خَلَتْ لِثُعلِ حَلائِلُه

وقامَتْ عليه حاسِراتٍ ثَواكِلُه[4]

---

(١) الحماة — جمع الحامي اي المانع والمدافع . مترددد — الذي يجيء المرة بعد الاخرى .

(٢) لم يرم — في الكتاب بضم الراء . من رام يروم أي اراد الشيء وطلبه ، والصواب بكسر الراء من رام يريم المكان أو بالمكان أي زال عنه وفارقه ، ولم يرم — بكسر الراء — أي لم يفارق مكان القتال . معزل — مكان العزل والإنفراد . الازدي — هو زريق بن علي قدد — قطع . والمعنى أن السيد ثبت في مكان معزل الازدي الذي تحصن به ليناله فقتل وقطع .

(٣) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٧٥ .

(٤) يشرح المحقق الشطر الاول بقوله :[الذرى — ما انصب من الدمع • ربع القوم — محلتهم . ثعالة وثعل — أنثى الثعالب أو من اسماء الثعلب] =

= ولو جمعنا هـــذه المعاني التي ذكرها المحقق ما وجدنا للشطر الاول معنى ، فكلمة (ذرى) اذا كانت مصدراً فمـــا موقعها وموقـع كلمة (مربعـاً) من الإعراب ؟ وما مناسبة مجيء الثعلب في هذا المطلع ، والشعر في الرثاء ؟ ولعل الصواب هو : ذري — أصلها ذري — فعل أمر للمخاطبة — أي دعي واتركي . والذرى التي عناها المحقق فعلها (أذرى) . وفي اللسان [أذرت العين الدمـع أي صبته] . وفعل الأمر [أذري] للمخاطبة ، وبهذه الصيغة لا يتم الوزن . المربـع — مـنزل القوم في الربيـع . خلت — خلا المكان أي رحل ساكنوه — وصوابها : حلت — بالحاء واللام المشددة — وحل المكان وبالمكان أي نزل فيه ، وبهذا يستقيم الوزن لأن البيت من بحر الطويل وقد غيرت هذه الكلمة التفعيلة الثانيـــة [مفاعيلن] الى [مفاعلن] وتغير المعنى ، لأن المربـع لا يخلو من حلائل القتيل والنائحات عليـه بل يقمن بالمكان ولا يبرحنه ثعل — صوابهـا [ثقل] — بالثـــاء المكسورة والقاف الساكنـة — في اللسان [كانت العرب تقول : الفارس الجواد ثقل على الارض ، فإذا قتل أو مات سقط به عنها ثقل . . وقوله تعـــالى : وأخرجت الأرض اثقالهـا — سورة الزلزال — أي كنوزها وموتاها . . . وقيل معناه موتاها] .

وكان السيد فارساً جواداً وقد قتل فهو [ثقـل] ، لهـذا أرى ان كلمة [ثقل] هي التي قصدها الشاعر .

الحلائل — جمع حليـلة وهي امراة الرجل او الجارة . حاسرات — جمـع حاسرة وهي المراة التي حسرت اي كشفت خمارها عن وجهها . ثواكله — جمع ثاكلة وهي المراة الفاقدة زوجها او ابنها او شخص عزيز عليها . فالشطر الاول من المطلع هو [ذري مربعاً حلت لثقل حلائله] . ومعنى البيت : اتركي مربعاً نزلت به نساء الفارس الجواد القتيل وقامت عليه حاسرات ثواكله لان مثل هذا المنزل لا يمكن البقاء فيه وقد ذهب فارسه وحاميه .

نَعى السّيدَ الحامي حِمى العزّ مُغرِبَاً
ولم يَدرِ أو يَحْرِصْ لما هو قائِلُه[1]

كأنَّ الذي يأتي بهِ ضِغْثُ حالمٍ
أناخَ به ليلٌ بَطيءٌ أوائِلُه[2]

بأيِّ يَدٍ تَسْطُو الليالي وسَيِّدٌ
صَريعُ ردىً أوصالُه ومفاصِلُه[3]

تَمُرُّ بهِ ريحٌ وقَطرٌ كأنَّها
كأيّاهُ في الدُّنيا نَداهُ ونائِلُه[4]

---

(١) نعى – اخبر بالوفاة . المغرب – بفتح الميم – وقت غروب الشمس. لكن المحقق لم يشكل الميم ونصب الكلمة ، وعلى هذا لم نجد فاعلاً للفعل [نعى] فإما ان يكون هذا البيت مسبوقاً ببيت آخر فيه ذكر الناعي وبذلك يكون الضمير في الفعل [نعى] يعود عليه وإما ان تكون كلمة [مغرباً] اصلها [مغرب] – بضم الميم وكسر الراء – وهو الفاعل ولعل هذا هو الصواب . في اللسان [اغرب الرجل اذا جاء بأمر غريب] واسم الفاعل منه [مغرب] فكأن المعنى المراد هو : اخبرنا بوفاة السيد حامي حمى العز شخص جاءنا بأمر غريب وهو لم يدر أو يحرص على ما يقوله في مثل هذا الحادث الغريب ، لأن من الغرابة ان يكون السيد مقتولاً . ويؤكد هذا المعنى الذي قصدناه ما جاء في البيت التالي :

(٢) ضغث حالم : تخليط حالم ، واضغاث احلام أي احلام مختلطة لا يمكن تأويلها . اناخ به – أي اقام عليه .

(٣) الردى – الهلاك ، السقوط . الاوصال – جمع وصل – بكسر الواو وسكون الصاد – والوصل : كل عضو على حدة .

(٤) القطر – المطر . نداه – جوده وفضله وخيره . النائل – العطاء .

تهـــدَّمَ عرشُ الأزدِ في كلّ بَلدةٍ
وخَرَّتْ أعاليهِ وهُدَّتْ أسافِلُه[1]

رَمَتْهـا الأعادي بالعُيونِ ولم تكنْ
تُواجِهُها إلّا بِلَحظٍ تُخايِلُه[2]

بِمَنْ يُصدِرُ الخَطّيَّ من مُهَجِ العِدا
رِوَاءً اذا ما الرَّوْعُ ثارتْ قَساطِلُه[3]

فيــا ناعِيــاهُ للخليفةِ أنعِيــا
فقد ثُكِلَتْ أرماحُهُ ومَناصِلُه[4]

تَرَحَّلَ باغي المجدِ يَحدُو مَطِيَّهُ
وحامِي عمودِ الدينِ حَطّتْ رَواحِلُه[5]

---

(١) خرت – سقطت .

(٢) رمتها بالعيون – اصابتهـا بالعيون . اللحظ – النظر بمؤخر العين . تخايله – أي تتصوره كالخيال ، كناية عن الخوف والشعور بالذل اذا نظرت اليه .

(٣) يصدر – يرجع من اصـــدر أي رجع . الخطي – الرمح نسبة الى الخط وهي جزيرة في البحرين ترفأ اليهـا السفن . مهج – جمع مهجة أي الروح او دم القلب . العـــدا – بكسر العين – اي الاعداء ، وهو جمع لا نظير له . رواء – جاءت في الكتاب بضم الراء والصواب بكسرها ، لان الرواء – بضم الراء – بمعنى المنظر الحسن ، اما الرواء – بكسـر الراء – فهي جمع [ريان] ضد العطشان ، وهذا هو المقصود من رجوع الخطى ريان من دماء الاعـداء . الروع – الحرب . القساطل – جمع قسطل وهو الغبار الساطع في الحرب .

(٤) الارماح – جمع رمح . المناصل – جمع منصل – بضم المـيم وضم الصاد او فتحها وهو السيف . الناعي – المخبر بالوفاة .

(٥) باغي المجد – طالبه يحدو – يسوق الإبل ويغني لها . المطي – =

تَغـيَّر وجهُ الأَرضِ من هُـلْكِ سـيّدٍ
فأمسَى رُواقُ الـمُـلْكِ تَـبْراً حَبائِـلُه[(١)]

وما زالَ مُذ زارَ الـثّرى شلوُ سـيّدٍ
غَنيّـاً عن الـسُقْـيا وفيـه أَنامِـلُه[(٢)]

اذا لم يَجُـدْ نَوْءُ الســماءِ فكَـفُّـهُ
ترَوّي الـثّرى حتى تَجُـودَ خَمايِـلُه[(٣)]

= الإبل جمع مطية . حط – نزل وهبط . الرواحل : جمع راحلة . والراحلة من الإبل القوي منها على الاحمال والاسفار . وحطت رواحله اي اقام ولم ينهض .

(١) هلك – الهلاك ولا يكون إلا في ميتة السوء . الرواق – سقف في مقدم البيت . او كساء مرسل على مقدم البيت من اعلاه . تبراً – التبر – بفتح التاء وسكون الباء – الهلاك والكسر والفعل [تبر] – بفتح الباء – . الحبائل – جمع حبالة – بكسر الحاء – وهي المصيدة التي يصاد بها .

(٢) الثرى – التراب الندي الشلو – عضو الانسان بعد البلى والتفرق . السقيا – الإسم من السقي او الإستسقاء . الانامل – جمع انملة وهي راس الاصبع .

(٣) نوء السماء – المطر ، ولم يجد – بضم الجيم – نوء السماء اي لم يكثر ولم يغزر ، من جاد يجود جوداً المطر اذا كـثر وغزر ، لكن محقق الكتاب توهم بعبارة [لم يجد] فكسر الجيم حاسباً انها من الفعل وجد يجد وجوداً اي اصاب الشيء وادركه ، ثم نصب كلمة [نوء] على انها مفعول به ولم يجد فاعلاً للفعل [يجد] وبذلك ضاع معنى الشطر . ثم جعل كلمة [كف] مذكراً فقال [يروي] والصواب انها [مؤنثة] والفعل [تروي] بالتاء . الخمائل – جمع خميلة وهي الشجر الكثير الملتف . وقد صححت البيت حفظاً للمعنى .

وإنّ فَضاءَ الأرضِ من قَبْرِ سيّدٍ
لَمُخضَرّةٌ تَرْباؤهُ وجَنادِلُهْ[1]

ولولا قضاءُ اللهِ ما انبَسطتْ يَدٌ
الى سيّدٍ إلّا لِعُرفٍ تُناوِلُهْ[2]

فَعيْنَيَّ إلّا تَبكِيا الدّمَ فأجْمُدا
فكلُّ إمرِىءٍ بالماءِ يبكيه ثاكِلُهْ[3]

فما كانَ في الأحياءِ حيٌّ كَسيّدٍ
كما ليسَ في الأمواتِ مَيْتٌ يُعادِلُهْ

تَحاماهُ طَيْرُ البِيدِ لما رأَيْنَهُ
فلا الطيرُ تُفْريه ولا الطيرُ تأكُلُهْ[4]

فحامَتْ عليه شاكراتٍ لِسيْفِه
نواهِضُهُ من فوقِه وحوائِلُهْ[5]

---

(١) الترباء ـ التراب . الجنادل ـ جمع جندلة وهي الصخرة العظيمة .

(٢) العرف ـ المعروف . تناوله ـ اصلها تتناوله اي تعطيه ، حذفت إحدى التاءين لخفة اللفظ .

(٣) معنى البيت ـ يا عيني ابكيا بالدم لا بالدمع الذي يسكبه كل انسان ثاكل وإلا فأجدا ولا تبكيا ، فمثل السيد لا يبكي عليه بالدموع .

(٤) تحاماه ـ تتجنبه وتتوقاه . والاصل تتحاماه حذفت إحدى التاءين لخفة اللفظ . البيد ـ جمع بيداء وهي الفلاة . تفريه ـ في الكتاب بفتح التاء والصاب بضمها من الفعل الرباعي [افرى] وافرى الشيء : قطعه وشقه .

(٥) حامت ـ دارت . النواهض ـ جمع ناهض وهو فرخ الطائر الذي وفر جناحه وقدر على الطيران . الحوائل ـ جمع حائل وهو من عمره حول اي سنة . ويريد ان الطيور تشكر سيفه لما ترك من قتلى العدو .

في الهجـــاء

للهجاء في نظر النقّـاد القدامى والمحدَثين آراء في تعريفـه وانواعه والجيّـد منه وصفات الشاعر الهجّـاء .

ففي رأي قُدامةَ بن جعفر في حديثه عن (نَـعْتُ الهجاء)[1] : [إنه قد سهّـل السبيل الى معرفة وجه الهجاء وطريقه ، ما تقدم في قولنا في باب المديح وأسبابه ، اذا كان الهجاء ضد المدح . فكلما كثرت اضداد المديح في الشعر كان أهجى له ، ثم تنزل الطبقات على مقدار قـلّة الأهاجي فيهـا و كثرتهـا .... ومن الهجاء ايضاً ما تجمل المعـاني كما يفعل في المدح فيكون ذلك حسناً اذا أُصيب به الغرض المقصود مع الايجاز في اللفظ .. ثم يُنظر في اقسام المديح واسـبابه فيجري أمر الهجاء بحسبها في المراتب والدرجات والاقسام ويلزم ضد المعنى الذي يدل عليه اذا كان المديح ضد الهجاء] .

ومعنى هذا أن قدامة بن جعفر يرى أن الهجاء ضد المديح ولما كان المديح أساسه الفضائل الأربع : العقل والشجاعة والعدل والعفّـة ، فكلما كان الهجاء ضد هذه الفضائل كان أجود في رأيه ، وتكون جودة الشعر شموله اضداد هذه الفضائل .

أما القاضي الجُـرْجاني ابو الحسن علي بن عبدالعزيز ٣٦٦هـ ـ ٩٧٦م

(١) نقد الشعر ص ٥٥ ـ ٥٩

فيقول في كتابه (الوِساطةُ بين المتنبي وخصومه)[1] : [فاما الهجوُ فابلغه ما جرى مجرى الهزْل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع عُلوقه بالقلب ولُصوقه بالنفس . فامـا القذف والإفْحاشُ فَسِبابٌ محضٌ ، وليس للشاعر فيه إلا اقامة الوزن وتصحيح النظم] .

وكان مخلد الموصلي على رأي القاضي الجُرْجاني في هجاء أبي تمام - كما سنرى - فهو في معظم ما نظم ميّال الى السخرية والهزل والى مابين التصريح والتعريض ، وحيناً يميل الى التصريح لِيوُجِعَ .

أما ابن رشيق في كتابه (العُمْدَةُ) فينقل رأي القاضي الجرجاني في الهجاء ويقول[2] : [ومما يدل على صحة ما قاله صاحب (الوِساطة) وحسن ما ذهب اليه ، اعجاب الحُذّاق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تَشَكُّكِه وتَهَزُّلِه وتجاهله فيما يعلم :

وما أدري ولستُ إخالُ أدري
أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نِساءُ ؟
فإنْ تَكُنِ النساءُ مُخَبَّئاتٍ
فَحُقَّ لكلِّ مُحْصَنَةٍ هِدَاءُ[3]

---

(١) الوساطة ص ٢٨ .

(٢) العمدة ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) مخبئات ـ مخفيات . المحصنة ـ كل امرأة عفيفة فهي محصنة ؛ امرأة متزوجة فهي محصنة . حق لكل محصنة ـ أي كانت حقيقاً بها أن يهدى بها . هداء ـ هدى العروس هداء الى زوجها أي زفها اليه .

إن هذا عندهم من اشد الهجاء وأَمَضُّه]

ثم يتابع ابن رشيق قوله في الهجاء[1] [وجميع الشعراء يرون قِصَرَ الهجاء اجود ، وتركَ الفحش فيه اصوب ، إلا جريراً فإنه قال لبنيه : اذا مدحتم فلا تُطيلوا الـمُمادَحة ، واذا هجوتم فخالِفوا ـ أي اطيلوا ـ وقال ايضاً : اذا هجوتَ فأضْحِكْ .... وأنا ارى ان التعريض اهجى من التصريح لاتّساع الظن في التعريض ، وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب حقيقته . فاذا كان الهجاء تصريحاً احاطت به النفس علماً وقبلته يقيناً في اول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل يعرض . هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون الـمَهْجُوُّ ذا قدر في نفسه وحسبه ، فأما ان كان لا يوقظه التلويح ولا يؤلمه الا التصريح ، فذلك ـ أي لابد من التصريح ـ] .

ثم يؤيد ابن رشيق رأي قدامه بن جعفر في الهجاء ويُقِرُّه على رأيه في سلب الفضائل من المهجوّ ليكون الهجاء جيداً فيقول[2] : [واجود ما في الهجاء ان يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركّب من بعضها مع بعض ، فأما ان يكون في الخلقة الجسمية من المعايب ، فالهجاء به دون ما تقدم . وقدامه ـ بن جعفر ـ لا يراه هجواً البتَّةَ ، وكذلك ما جاء من قِبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً ، ولا يعد الهجو به صواباً ، والناس ـ الا من لا يُعَدُّ قِلَّةً ـ على خلاف رأيه .... والذي اراه أنا على كل حال ان اشدّ الهجاء ما اصاب الغرض

(١) العمدة جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦٦ .

ووقع على النكتة ، وهو الذي قال خَلَفٌ الأَحْمَر[1] بعينه] .

أما النقّاد المحدَثون فهم لايبخسون قيمة الهجاء والهجّائين ، بل يرون في بعض الهجاء قوة بنّاءة فيها تعديل الإعوجاج ، ووضعُ مُثل عليا للأفراد أو الانظمة أو المجتمعات ، وهم وان كانوا قد سخطوا وتمرّدوا وسيطر عليهم سلطان الغضب ، وسَفّوا احياناً في صورهم الشعرية ، الا ان في ذاتهم شيئاً يريدون تقويم اعوجاجه[2] . [فالواقع ان في الهجاء قوة بنّاءةً الى جانب هذا المظهر الهدّام الذي هو اول ما يطالع المتصفّح له ، فهو حين يهاجم شخصاً من الأشخاص او نظاماً من النظم او نزعة من النزعات ، يتصور في حقيقة الأمر حياة اخرى بأشخاصها ونُظامها واسلوبها ، هي مثله الاعلى الذي يطمح اليه ويدعو له فالهجّاء له فلسفة في الحياة يريد ان يؤديها الينا] .

والهجاء ، في نظرهم ايضاً ، هو نقد والشاعر الهجّاء إنسان نقّاد[3] [تسترعيه حماقات الناس واخطاؤهم باكثر مما تسترعيه فضائلهم ، فهو لا يحسّ مثله الأعلى بطريق مباشر ، ولا يفطن اليه إلا عن طريق ما يعارضه ويُثيره . فكأنه لا يهتدي لنفسه إلّا بالقدر الذي يدفعه اليه حقده وغضبه . فهو لا يكتشف ذوقه ومواهبه إلا عن طريق السُخط

(١) خلف الاحمر – هو خلف بن حيان الاحمر . كان راوية علامة وشاعراً بليغاً ، يصنع الشعر وينسبه الى العرب فيشبه كلامه كلامهم ، وعليه قرأ اهل الكوفة اشعارهم . وفي اواخر ايامه تنسك وترك الشعر والكلام . توفى سنة ١٨٠ هـ . البيان والتبيين حاشية جـ ١ ص ١٢٠ .

(٢) كتاب الهجاء والهجاؤون ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧ .

فاذا مات في نفسه السُخط وسكت عنـــه الغضب فقد معها كل ظِلّ من ملـكاته] .

[1] [ويقسم النقاد الهجاء الى ثلاثـة اقسام : هجاء شخصي وهجاء اخلاقي وهجاء سياسي . فالهجاء الشخصي يعتمد في مهاجمتـه الافراد ، وهو اقدم انواع الشعر الهجائي ، وهو في معظم الاحيـان متأثر بالاهواء الشخصية بعيد عن العدل والإنصاف لأنه لا يرتقي الى عناصر الحيـاة العامة إلا في القليل من نواحيـه ، فهو اقرب للسِباب وأدنى الى أن يتورط في الفحش .... واكـثر ما يكون الهجاء الشخصيّ ناجحاً اذا استطاع فيه الشاعر أن يخفي حقده نحو الافراد ، فيبدو غضبـه منصباً على رذائل سائدة وحماقات منتشرة ، لا تعرض فيها اسماء الاشخاص إلا على سبيل التوضيح والمثال] .

[2] [ولما كان الهجاء الشخصي بعيداً عن الاستناد الى عاطفة انسانية عامة ، كان اخلده وادقاه ماغلبت عليه الدُعابة التي تغري الناس بروايته والتندّر به . والدُعابة شيء موهوب غير مكسوب ، فهي مركّبة في طباع الهـجّائين المتازين الذين لا تـكاد عينهم تقع على شيء حتى تتـدفق عليهم الوان الصور الفكهة والاخيلة الساخرة التي تسعفهم بها البديهة . وهي خاصة لا تدور على التفكير وإعمال العقل وكدّ المخيلة . فالصورة تلمح في ذهن الهـجّاء الساخر الـفَطِن ، فتسعفه بالنكتة الصائبـة بمجرّد وقوع عينه على موضع هجائه أو تخـيّله . وهذه الخاصة تصور ذكـاء لَـمّاحاً وهـدوءاً في الطبع وبروداً في الاعصاب ، يحتفظ بروح المرح

(١) المصدر السابق ص ١٩ .

(٢) الهجاء والهجاؤون ص ٤٠ .

بعيدة عن أن يطغى عليها الغضب فيفسدها ويذهب بها] .

واذا كان الهجـاء الشخصي نقد شخص ما ، في تصرفاته وسلوكه واعماله بأسلوب شعري ، فإن بعض نقاد الأدب اتجهوا الى دراسة الأدب من حيث هو فنّ ، والآثار الأدبيـة عندهم هي كل شيء بصرف النظر عن شخصية الأديب"[1] [واتجه آخرون الى دراسـة حياة الأديب لا الأدب نفسه ، فوجّهوا عنايتهـم نحو تأثّر الأدب بالاديب وصدوره عنه ، ولاحظوا في ذلك أن نفس الاديب هي المنبع الذي صدرت عنـه هذه القطعة الادبيه فيجب أن تُدرس هذه النفس ليفهم ما يصدر عنها . فالكتاب الذي أُلّف والقصيدة التي نظمت لا يمكن فهمها حق الفهـم الّا اذا فهمت نفسية القائل ، وهـذا من غير شك صحيح الى درجة كبيرة .... ومن الحق أن قدراً من معرفة حياة الفنان لازم لفهم ماصدر عنه من فنّ ، وهو القدر الذي يرسل الضوء على الآثار الادبية] .

والذي وصلنا من شعر الهجاء لمخلد الموصلي هو خاص بأبي تمـام الطائي الشاعر . ومخلد في هجائه لا يهتم بشعر أبي تمام ولا بفنه وعبقريته ولا بمنزلتـه بين الشعراء بل يركز على سيرته وانتسابه الى قبيـلة طـّيء ـ القحطانية ـ وهو ليس بعربي ، ويعبث به بفن جديد من شعر الهجاء هو (فن الكاريكاتير) وهذا ما سنجده في حديثنا التالي :

---

(١) كتاب النقد الأدبي ص ٩ .

مخلد الموصلي وأبو تمام الطائي

بين مخلد بن بَكّار الموصلي وأبي تمـام اختلاف في الموهبة الشعرية وفي المزاج والنشأة والسلوك والبيئـة والظروف التي عاش كل منهما فيها وترعرع .

فمخلد ـ كما علمت ـ يتأثر سريعاً بالأحداث ولا يسكت عن خطأ أو ظلم ، يثور ضارباً عرض الحائط كل عـلاقة له بالخاطىء أو الظالم . نشأ في بيئة محافظة فيها العصبية القبلية الشديدة والصراع العنيف الى درجة الإقتتال وقطع الرؤوس ، وفيها التمسك والحفاظ على المحرمات والشعائر الدينيـــة ، وحوله رجال الحديث يجتمعون لدراسته ويرحلون لجمعه وتحقيقه ، لذلك لم نعرف عن مخلد ـ فيما وصلنا عنــه ـ التهتّك وشرب الخمرة واللهو والعبث والمجون أو التكسب بالشعر ليلهو ويعبث بمـــا يكسب من مال .

ومخلد يعرف منزلة شعر أبي تمام وشهرته بين الشعراء وعِلْية القوم ونقّاد الشعر . لكن شـاعراً له مزاج كمزاج مخلد لا يحس بمركب نقص تجاه شاعر كأبي تمام ، بل يحس بالتحدي والنقد الجارح .

أما ابو تمام فقد اختلف مؤرخو الأدب في نسبه . يقول ابو الفرج الاصبهاني[1] [ابو تمـــام حبيب بن أوس الطـــائي من نفس طـيّء

(١) الاغاني جـ ١٦ ص ٣٨٣ .

صَلِيبَةً[١]، مولده ومنشؤه (مَنْبِجُ) بقرية منها يقال لها : جاسم].

ويقول ابو بكر الصولي[٢] [وقال قوم : هو حبيب بن تَدُوسَ النّصراني ، فَغُيِّرَ فَصُيِّرَ أَوْساً] .

ويرى الدكتور طه حسين في كتابه [من احاديث الشعر والنثر][٣] : [انه تُيودُوس ، وهو اسم يوناني ، ويحدثنا الرواة القدماء ـ وأكثر الذين يحدثوننا قد عاصروا أبا تمام وعاشوا بعد موته بقليل ـ أن تُيودوس هذا كان نصرانياً يبيع الخمر في دمشق ، وان ابنه نشأ في حجره نشأة نصرانية ولكنه أسلم وترك دمشق وذهب الى مصر فأقام فيها فترة] .

ويقول ابو بكر الصولي ايضاً[٤] [وجدت في كتبي : وقال الوليد يهجو أبا تمام وهي قصيدة اخترت منها :

دَعِ الهجاءَ فإنّ اللهَ حرَّمَهُ
وأَقْصِدْ الى الحقّ إنّ الحقَّ مُتَّسِعُ
واذكرْ حبيب بنَ أوْشاناودِعْوَتِه
فإنّ طيّاً اذا سُبّوا بهِ جَزِعُوا[٥]

(١) صليبة ــ اصيلاً ليس من مواليها ولا من حلفائها .

(٢) اخبار أبي تمام ص ٢٤٦ .

(٣) ص ١٥٤ .

(٤) اخبار أبي تمام ص ٢٥٢ . اختار الصولي عشرة ابيات وقد اخترت منها اربعة فقط للأستشهاد . ولا ادري هل الوليد الذي هجا ابو تمام هو مسلم بن الوليد أم هو شاعر آخر .

(٥) الدعوة بكسر الدال ــ في اللسان : الدعوة في النسب ــ بالكسر ــ وهو أن ينتسب الإنسان الى غير ابيه وعشيرته . جزع ــ يقال جزع منه : أي لم يصبر عليه فأظهر الحزن أو الكدر .

لو أنَّ عبدَ منافٍ في أُرومَتِهم
تَقبّلوكَ لَما ضَرّوا ولا نَفَعُوا[1]

مِرْباعُ قومِكَ ناقوسٌ وشَمْعَلَةٌ
فاذكُرْ مَرابيعَهم فيها إذا ارْتَبَعُوا[2]

ثم يقول الصولي[3] [وقد ادّعى قوم عليه بالكفر ، بل حققوه ، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره وتقبيح حسنه ... واحتجّوا برواية أحمد بن أبي طاهر . وقد حدثني بها عنه جماعة أنه قال : دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً وبين يديه شعر أبي نُواس ومُسْلِم - بن الوليد - ، فقلت : ما هذا ؟ قال : اللّاتُ والعُزّى[4] وأنا اعبدهما من دون الله مُذْ ثلاثون سنة] ثم يعقّب الصولي على هذه الرواية ويدافع عن أبي تمام .

ويقول الدكتور محمد مندور في كتابه [النقد المنهجي عندالعرب]

---

(١) الأرومة – بفتح الهمزة أو ضمها – أصل الشجرة .

(٢) المرباع – ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية .
الشمعلة – في اللسان [ناقة شمعلة ، سريعة ونشيطة ، والشمعل : الناقة الخفيفة . وشمعلت اليهود شمعلة وهي قراء تهم اذا اجتمعوا في فهرهم – أي عيدهم أومدراسهم – وهو بيت تدرس فيه التوراة – يجتمعون اليه في عيدهم –] المرابيع – الامطار في أول الربيع ، والمفرد مربع ، كذا في المعاجم . ولعله قصد بالمرابيع . جمع مرباع . وهو ربع الغنيمة قياساً على مثقال ومثاقيل .
ارتبع – بالمكان أي أقام فيه زمن الربيع .

(٣) اخبار أبي تمام ص ١٧٢ .

(٤) اللات والعزى – صنمان من اصنام الجاهلية .

في حديثه عن أبي بكر الصولي وأبي تمام[1] [ونحن عندما ننظر في الشعر الذي هُجي به ابو تمـام نجده يدور دائماً حول إتهامه في نسبه] ثم يورد ابياتاً من أول قصيدة هجا بها مخلد الموصلي أبا تمـام ، وبيتين من القطعة التي رواها الصولي عن الوليد في هجاء أبي تمـام ، ثم يقول :[2] [وإذن فأبو تمـام كان يُـتّهم بأنه نَـبَـطِـيّ وانه ولد لأب نصراني ، ولربما كان في ذلك ما يفسر إتهامه بالكفر] .

وكان ابو تمام مولعاً بالخمر والغلمان الى درجة التبذّلِ والاستهتار ، وليس هـــذا من شِـيَمِ واخلاق الرجال ذوي النفوس العالية في مجتمع يزن الرجال بميزان : العقل والشجاعه والعفة والعدل ، ومن كانت تلك صفاته فـقَد الشهامــة والعِزّة وَجـبُن أمام الاحداث وكذب فـــيما يقوله ويدّعيه .

وكان الأديب والمفكر الفرنسي (جورج ديهاميل) عضو الاكاديمية الفرنسية يقول :[3] [انــ الرجل العبقري الذي لا مبادىء له أشــبه ما يكون بالعاهرة الجميلة التي يتمتع بها الرجال دون أن يمنعهم ذلك من احتقارها] . ويقول[4] : [الاخلاق هي التي تنفث الروح في العبقرية وان كانت تبقى احياناً غريبة عن النبوغ . والاخلاق اندر من العبقرية اذا اخذنا لفظة اخلاق بمعناها المطلق وهي اثمن ما يوهب .... وهِبَـةُ

(١) النقد المنهجي ص ٦٢ .

(٢) النقد المنهجي ص ٦٢ .

(٣) كتاب (دفاع عن الأدب) لجورج ديهاميل : ترجمة الدكتور محمد مندور مقدمة ص ٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٣ .

الاخلاق - من بين كل الـهبات - هي الـهبة التي نرجوها بكل حرارة وإلحاح للفنانين الذين نُعجب بهم .... لقد عشت ما يكفي لأقول في عزم : انني اذا كنت أُعجب بالفنانين الكبار فإنني اعجب اكثر من ذلك بالاخلاق الكبيرة فأتلمّسها وأُجِلّها] . فهذا الاديب المفكر لا يرى في العبقرية ذاتها ما يبرر الإنحلال أو يدعو اليه ، وأشد ما يغتبط به أن يعزز الخلقُ المواهبَ .

ثم يستمر ابو بكر الصولي في رواياته عن أبي تمام فيقول[1] [حدثني محمد بن موسى ، قال : كان ابو تمام يعشق غلاماً خزَرياً كان للحسن بن وَهْبٍ[2] ، وكان الحسن يتعشّق غلاماً كان لابي تمام روميّاً ، فرآه ابو تمام يعبث بغلامه فقال : والله لئن أَعْنَقْتَ الى الروم - أي سرت سريعاً اليهم - لَنَرْكُضَنَّ الى الخَزَرِ ، فقال ابن وَهْب : لو شئتَ لحكّمتنا واحتكَمْتَ ، فقال : ابو تمام : أنا أُشَبِّهُكَ بداؤد[3] - النبي - وأشبِّهني بخصمه ، قال الحسن : لو كان هذا منظوماً خِفْناه ، فأمّا منثوراً فهو عارض لا حقيقة له ، فقال ابو تمام :

---

(١) اخبار أبي تمام ص ١٩٤ .

(٢) الحسن بن وهب – كان كاتب الوزير محمد بن عبدالملك الزيات في خلافة الواثق .

(٣) قصة النبي داؤد وردت في القرآن الكريم في سورة (ص) الآية ١٧ – ٢٦ عن حديث النبي داؤد مع الخصمين اللذين كان لأحدهما تسع وتسعون نعجة وآخر له نعجة واحدة .

أبا عليّ لِصَرْفِ الدّهرِ والغِيَرِ

وللحوادثِ والأيامِ والعِبَرِ [1]

الى آخر القصيدة التي فيها كثير من الفُحش] .

ثم يستمر الصولي في رواياته ويقول [2] : [روى مسعود بن عيسى، قال : حدثني صالح غلام أبي تمام .... وكان حسن الوجه ، قال : دخل ابو تمام على الحسن بن وَهْب وأنا معه ، وعلى رأسه جارية ظريفة فاومَا اليها الحسن يُغريها بأبي تمام فقالت :

يا أبنَ أَوْسٍ أشْبَهْتَ في الفِسْق أَوْساً

وا تّخذتَ الغُلامَ إلْفاً وعِرْساً [3]

فاجابها ابو تمام ....] .

ويقول ابو الفرج الاصبهاني [4] : [خرج ابو تمام الى خالد بن يزيد ابن مَزْيَد ، وهو بأرمينية فامتدحه فاعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره ، وقال : تكون العشرة آلاف موفورة ، فإن أردت الشُخوصَ - أي الذهاب - فاعْجِلْ ، وإن اردت المُقام عندنا فلك الحباء والبِرُ - أي العطاء - قال : بل أشْخص - أذهب - فودّعه . ومضت أيام وركب خالد يتصيّد فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكْرَةٌ - وعاء خمر - فيها شراب وغلام يغنيه بالطُنبور ، فقال ابو تمام ؟ قال : خادمك

(١) صرف الدهر وغير الدهر - أحداثه ونوائبه .

(٢) اخبار ابي تمام ص ٢١٠ .

(٣) الألف - الصداقة . الأوس - الذنب أو يقصد والده .

(٤) الاغاني ج ١٦ ص ٣٩١ .

وعبدك ، قال : ما فعل المـال ؟ فقال :

عـلّمني جُودُكَ السماحَ فمـــا
أَبْقَيْتُ شيئاً لديّ من صِلَتِكْ[1]

مـا مَرّ شهرٌ حتى سمحتُ به
كانّ لي قُـدْرَةً كمَقدُرَتِكْ

تُنفِقُ فياليوم بالهبات وفيالساعة (م)
مـا تَجْتَنيـه في سَنَتِكْ[2]

فلستُ أدريَ من أين تُنْفِقُ لوْ
لا أن رَبّي يَمُدّ في هِبَتِكْ[3]

فامر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج] .

ويقول ابن المعتزّ في كتابه (طبقات الشعراء)[4] : [حدثني ابو الأسود الموصلي ، قال : قال الحسن بن رَجاء الضَّحّاك : كنا مع أمير المؤمنينالمعتصم[5] بالرَّقّةَ ، فجاء ابو تمام ، وأنا في حَرّاقتي - سفينتي - فجعل ينشدني ويلتفت الى الخدم والغلمان الوقوف بين يدي ، ويلاعبهم

---

(١) السماح — الجود والعطاء والمساهلة . الصلة — العطية والإحسان والجـائزة .

(٢) اجتنى — الشيء أي جناه أو قطفه .

(٣) الهبة — هي تمليك الشيء بلا عوض .

(٤) طبقات الشعراء ص ٢٨٣ .

(٥) الرقة — البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد ، وهي الجانب الغربي ، وهو عظيم جداً جليل القدر . معجم البلدان جـ ٣ ص ٦٠ .

ويغامزهم ، وكان الطائي من اكثر النـــاس عبثاً ومُزاحاً . فقلت له : يا طائي قد ظننت أنك ستصير الى أمير المؤمنين مع الذي أرى من جودة شعرك فانظرْ : إنك ان وصلت اليه لا تمازح غلاماً ولا تلتفت اليـه ، فإنه من أشد الناس غيرة ، وإني لا آمن ان وقف منك على شيء أن يأمر غلمانه فيصفعك كل واحد منهم مائة صفعة . فقال : اذاً أخرج من عنده ببِدَرٍ ـ اكياس توضع فيها الدراهم ـ مملوءة صَفْعاً] .

ومهما قيل في هذه الروايات عن أبي تمام ، فإنه كان متهتّكاً ، ومثل هذا السلوك يحتاج الى المال ، والمال لا يحصل عليـه الشاعر إلّا بالتكسب واضاعة الكرامة واراقة مـــاء الوجه ، ومحاولة التفنن بالمدح الكاذب وخلق الصور الخياليـة لشخص الممدوح ليستدرّ ما بين يديه أو جيبه أو خزانته من مال .

وابو تمام لم يقصّر في هذا الميدان ، بل كان الفنّان المبدع والسبّاق المجلّي فيه ، فأتته الهدايا والعطايا من كل جانب ، فمدح الخليفة والأمراء والقوّاد والولاة وكل من وجد فيه المـال والجود والعطاء . واذا وجد الباب موصداً أمامه ألحّ في الطلب حتى ينال ما يريد .

يقول الصولي(١) : [حدثنا محمد بن اسحاق النحوي ، قال : حدثنا ابو العَيناء عن علي بن محمد الجُرْجَاني قال : اجتمعنا بباب عبد(٢) الله

(١) اخبار أبي تمـام ص ٢١١ .

(٢) عبدالله بن طاهر بن الحسين : كان ذا منزلة عنـد الخلفاء ، وبخاصة عند المأمون ، وهو شـــاعر مطبوع ، معروف بالسماحة والشجاعة . الاغاني جـ ١٢ ص ١٠١ .

ابن طاهر من بين شاعر وزائر ومعنا ابو تمـــام ، فَحَجَبنَـا ايامـاً ، فكتب اليه ابو تمـام :

(أَيُّهَـذا العزيزُ قَدْ مَسّنا الضُرُّ) م

جميعـاً وأَهْلُنـــا أَشْـتاتُ [1]

ولنـــا في الرِّحالِ شيـخٌ كبيرٌ

ولدينـــا بِضاعـــةٌ مُزْجاةٌ [2]

قَلَّ طُلاّبُهـــا فأضحتْ خساراً

فتجاراتُنا بهـــا تُرَّهـــاتُ [3]

فاحْتَسِبْ أَجرَنا (وأَوْفِ لنا الكيلَ) م

وصـــدّقْ فإننـــا أمـــواتُ [4]

فضحك عبدالله لما قرأ الشعر ، وقال : قولوا لأبي تمام : لا تعاوِدْ مثل هـذا الشعر ، فإن القرآن اجلُّ من ان يُستعار شيء من الفاظه للشعر ، قال : ووَجدَ ـ غضب ـ عليه] .

---

(١) اقتبس في الشطر الاول جزءاً من الآية في ســورة يوسف رقم ٨٨ وهي (فلما دخلوا عليه قالوا : يا أيها العزيز مسنا وأهلنـا الضر) . أشتات – متفرقون .

(٢) الرحال – جمع رحل – بفتح الراء وسكون الحاء – وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج أو مسكن الرجل وما يستصحبه من الاثاث .
بضاعة مزجاة – قليلة .

(٣) ترهات – جمع ترهة – بتشديد الراء – وهي الاباطيل والدواهي .

(٤) اقتبس في الشطر الاول جزءاً من آية البيت الاول (وأوف لنـا الكيل) – سورة يوسف آية ٨٨ .

وقد عابه بعض الشعراء وهجوه وعاتبوه على هذا السلوك ، ويحدثنا الصولي بقوله[1] : [عزم ابو تمام على الإنحدار الى البصرة والأهواز لمدح من بهما ، فبلغ ذلك عبد[2] الصمد بن المُعَذَّل ، فكتب اليه قصيدة منها :

انتَ بين اثنتين ِ تَغْدُو مع الناس ِ (م)

وكِلتاهما بِوَجهٍ مُذالِ[3]

لستَ تَنْفَكُّ طالباً لِوصالٍ

من حبيبٍ او طالباً لِنَوالِ[4]

أيُّ ماءٍ لماءِ وجهكَ يبقى

بعد ذُلِّ الهوى وذُلِّ السُؤالِ ؟

فلما قرا الشعر قال : قد شغل هذا ما يليه ، فلا ارَبَ[5] لنا فيه واضرب عن عزمه] .

وابو تمام كان يحصل على المال الكثير ويُنفقه في الطرق المحبّبة الى

---

(١) اخبار أبي تمام ص ٢١١ .

(٢) عبد الصمد بن المعذل – هو ابو القاسم عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ... ينتهي نسبه الى ربيعة بن نزار . شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية . بصري المولد والمنشأ ، وكان هجاء خبيث اللسان ، وكان ابوه وجده شاعرين . الاغاني جـ ١٣ ص ٢٢٦ . جاءت ترجمته في كتاب اخبار أبي تمام في حاشية ص ٣٤ أنه مصري المولد والمنشأ . ولعل هذا خطأ مطبعي .

(٣) مذال – مهان .

(٤) النوال – العطية .

(٥) الارب – الحاجة .

نفسه . والطرق المعوّجة لا تُبقي ولا تذر من المال شيئاً .[1] [قدم على أبي تمام رجل من إخوانه ، وكان قد بلغه أنه قد افاد واثرى ، فجاءه يستميحه ، فقال له ابو تمام : لو جمعتُ ما آخذ ما أحتجت الى أحد ، ولكنني آخذ وأنفق، وساحتال لك ، فكتب الى أبي[2] سعيد بقصيدة ... فوجّه لأبي تمام بثلاثمائة دينار وللزائر بمائتي دينار قال : فأعطاه ابو تمام خمسين ديناراً حتى شاطره] .

---

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٢٨ .

(٢) ابو سعيد – هو محمد بن يوسف الثغري الطائي اليحمدي ، كان من قواد حميد الطوسي ، وقد ذكر الصولي لابي تمام قصائد في مدحه ص ٢٢٨ .

أبو تمـام في الموصل وصلته بمخلد

كان بين أبي تمام والحسن بن وَهْبٍ ، كاتب الوزير محمد بن عبدالملك الزيّات ، فيخلافة الواثق ، صُحبة طويلة ومجالسأُنس وطرب ، نظم فيها ابو تمام شعراً كثـيراً . يقول الصولي[1] [عُنِـيَ الحسن بن وَهْب بأبي تمام وكان يكتب لمحمد بن عبدالملكالزيات ، فولاّه بريد الموصلفأقام بهـا سنة ومات في جمادي الاولى سـنة إحدى وثلاثين ومائتين ، ودفن في الموصـــل] .

جاء ابو تمام الىالموصل ، وكانت شهرته قد سبقته ، لأنه كان قد ملأ الأسماع واشغل شعراء عصره وتزعّمهم عن جدارة . وبجانب شعره كانت سيرته قد لاكتها الألسن وهجاه شعراء كثيرون طاعنين نسبه واستهتاره وتكسبه بالشعر ، لذلك فقد وجد مخلد الموصلي في أبي تمام ميداناً خصباً للهجاء يصول ويجول فيه عابثاً ساخراً هازلاً . ومخلد في هذه السنة كان شيخاً جاوز الستين عاماً وابو تمام في الاربعين من عمره .

اتصل مخلد بأبي تمـام ، ويظهر انه كان يكثر من زيارته وقد زالت بينهما الحُجبُ . يقول الصولي في أول حديثـه عن اخبار أبي تمـام مع مخلد بن بَكّارٍ الموصلي :[2] [دخل ابو تمـام الحمّام ومخلد فيـه ، واذا

(١) اخبار أبي تمـام ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤ .

عليه شعر كثير كانه قد ألبس مِسْحاً ـ كساء من شعر ـ فقال له ابو تمام : ما هذا ؟ قال : حذراً من لسانك أن ينسبني الى البغاء] .

ويقول ابن المعتز [1] [قدم مخلد على أبي تمام فقال : هل لك في دخول الحمّام ـ وكان له في داره حمام ، وكان بيتاً واحداً طوله اربعة أذرع ، وكان يُوقَدُ [2] بِسِرْقين حمار مَرِيسيّ [3] كان عنده فلا يحتاج الى غيره ـ فدخل فلم يلبث شيئاً أنْ خرج ، فقال له : لِمَ لَمْ تلبث حتى تَعْرَقَ ؟ فقال مخلد : يا ابن البَظْراء [4] ، القعود في الشتاء يورث البواسير [5]] .

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٩٨ .

(٢) السرقين – الزبل .

(٣) حمار مريسي – نسبة الى بلد في صعيد مصر كانت تنسب اليه الحمر المريسية وهي من أجود الحمر .

(٤) البظرء – يا ابن البظراء – عبارة يشتم بها الرجل . وأمة بظراء أي طويلة البظر . والبظر لحمة بين حرفي فرج المرأة وهي القلفة التي تقطع في ختان البنت .

(٥) البواسير – مرض معروف .

مخلد الموصلي يهجو أبا تمام

لم يكن بين مخلد وأبي تمام خلاف شخصي أو خصومة من أي نوع قبل مجيئه الى الموصل . وربما لم يرَ احدهما الآخر ، لذلك لم يكن هجاء مخلد باعثه النقمة أوالثأر ، لكن مزاج مخلد واهتزازه لكل ما يجده مخالفاً لذوقه والعرف السائد في بلده ، كل هذا يدعوه الى الثورة فالهجاء . هجا ابن عمه (كامل الموصلي) لمـــا رآه يُقرىء الشعر في المسجد الجامع في الموصل ، وهو ليس أهلاً لهذا ، فصعِد المنـارة صائحاً هاجياً ابن عمه ـ كما علمنا ـ .

ولعـل مخلداً قد تأثّر برأي دِعْبِل[1] الخُزاعيّ الشاعر في أبي تمام عند تردّده[2] على الموصل ، وخُزاعة حي من الأزد ، والأزد كانت الغالبة على الموصل وقتئذ . وبين دِعْبل وأبي تمام خصام وهجاء . وكان دعْبل يدّعي بأن أبا تمام يسرق الشعر ويتتبع معانيه فيأخذها ،

(١) دعبل — هو دعبل بن علي بن رزين ، يمني من خزاعة ، وخزاعة حي من الأزد . نشأ بالكوفة متعصباً لقومه على العدنانية . وكان هجاء خبيث اللسان لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء . شعره من النوع المطبوع ذي الاسلوب القوي لتأثره بنزعتـه الجريئة في وجه الدولة العباسـية وبتعصبه للطالبيين . توفى سنة ٢٤٦ هـ .

— المنتخب من شعر العرب جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) تاريخ الموصل جـ ٢ ص ٣٩٧ .

وكان يكثر من ذمّ أبي تمام ويضع من قدره في كل مجلس ، وقد ذكر لنا الصولي[1] احاديث كثيرة رويت عن دعبل في أبي تمام .

والآن اجتمع مخلد بأبي تمام ، وابو تمام فريسة ثمينـة لابدّ من أن يهجم عليها فيسخر و يهزل ويعبث ويداعب ، وله مجال واسع في الحديث عن اصله ونسبه وسلوكه .

ومخلدكان يعلم انه أمام شاعر فحل ، وان الجدّ لا ينفع معه ، وليس له طريق غير السخرية والهزل[2] . [والواقع ان التعمّق في الخيال والإسراف في الصناعة الشعرية وفي تكلّف الجزالة وسموّ العبارة يضعف الهجاء ويفقده قيمته ويباعد بينه وبين الواقع ، لذلك كان اصحاب الصنعة من الشعراء اقلّ الناس تفوّقاً وإصابة في هذا الفن . فهجاء أبي تمام فاتر لأنه يقوم على الصناعة ولا يقوم على تقرير الواقع ... والهجاء يعتمد في تأثيره على الوضوح الخلاّب الذي يُضحك القارىء اول ما يقرأه ، فهو كالنُكتة إذا لم تُفهم إلّا بعد تفكير فترت وبردت وذهب بريقها] .

ونحن لو تأملنا شعر الهجّائين : كالحطيئة وجرير والفرزدق والأخطل ، وما رواه ابوتمام من شعر الهجاء في كتابه (ديوان الحماسة) وما ذكره قُدامه بن جعفر في (نقد الشعر) وابو هلال العسكري في (ديوان المعاني) وابن رشيق في (العمدة) وما اثنوا عليه من شعر الهجاء ، لو تأملنا كل هذا ما وجدنا قصيدة في الهجاء تسير في الطريق

(١) اخبار أبي تمام . ذكر الصولي دعبلاً في اكثر من عشر مناسبات . راجع فهرس الاعلام في الكتاب .

(٢) الهجاء والهجاءون ص ٣٣ .

الذي سار عليه مخلد الموصلي في اسلو بها وطول نَفسها ، لذا فقد اعترف ابو بكر الصولي بأن هـذا (فنّ) ـ كما سنرى ـ على الرغـم من تعصبه الشديدلأبي تمامو غمزه لكل مَن خالفه ونقده وهجاه ، ومنهم مخلدالموصلي.

يقول الصولي[1] [كان أول شعر هجا به مخلد أبا تمام قوله :

أنتَ عندي عربيُّ الأَصـــلِ ما فيـكَ كلامُ]

والقصيدة هجاء في نسب أبي تمام وسلوكه ، وقد طعن به معظم من هجوه . ولكن ما الذي فعله مخلد ؟ ؟

إنه جعل القصيدة من بحر (الرَّمل)[2] لسرعة النطق بها ، ثم قال له : أنت عندي عربيّ عربيّ أصيل ، ليس فيذلك كلام أوشك ، منسوب الى جبـل (أَجا) ـ وكانت طيء تسكن بين جبلي أَجا وسَلمى ـ ثم بدأ يعبث بخلقه بأسلوبالمبالغة الغريبة الهازلة الساخرة (الـكاريكاتير) فيقول له : إن شعر فخذيك نبات الخُـزامى والـثّمام ، وضلوع صدرك كالسهام وشجر الـبَشام الطيبالرائحة ، وقذى عينيك كالصمغ ، وشعر ناصيتك كنبت الـثّغام ، وانت بهذه الخلقة العجيبة لو تحركت واهتززت لخافت منك نَعام و ِظباء ويرابيـع . ثم : أنا ما ذنبي إذا خالفنيالناسفيما قلته واتت منك صفات نَبَطِـيّات لئيمة ، وقفاك دون وجهك لايدل على عراقة في الاصـل . ثم قالوا : إنك نَبـطِيّ تُنسب الى قرية جاسم

---

(١) اخبار أبي تمـام ص ٢٣٤ .

(٢) القصيدة من بحر [مجزوء الرمل] لتزداد سرعة النطق به [وسمي الرمل رملاً لسرعة النطق به ، وهو في اللغــة الإسراع في المشي .... ويجود الرمل في الحزن والفرح والزهد وضروب الموشحات ، وهو قليـــل في الشعر الجاهلي] كتاب فن التقطيع الشعري والقافية جـ ٢ ص ١٠٨ .

ـ من اعمال بلاد الشام ـ لقـد كذبوا ، ما انت إلّا عربي أبيّ ، بيتك في جبل سلمى ـ من مساكن طيء ـ وحوله اشجار تستظلّ بها الظباء ولك من إرث آبائك قِسِيٌّ وسهام ونخيل دنا قطوفها ، وانت عنـدي عربيّ عربيّ والسلام .

هذا الاسلوب الهازل الساخر (الـكاريكاتير) هو أشـد على النفس مرارة من الاقـــذاع والفحش الذي تعـــافه النفس ويمجّـه الذوق .

والقصيدة هي[1] :

أنتَ عنـــدي عـــربيٌّ الأَصْــــلِ ما فيـــكَ كلامُ
عـــربيٌّ عـــربيٌّ أَجـــأِيٌّ ما تُرامُ[2]
شَعرُ فَخذَيكَ وساقَيكَ (م) خُـــزامى وثُمـــامُ[3]
وضلوع الشِّلْوِ من صَدْ رِكَ نَبْعٌ وبَشامُ[4]
وقذى عَيْنَيْكَ صَمْغٌ ونَواصِيك ثَغـــامُ[5]

---

(١) اخبار أبي تمـام ٢٣٤ .

(٢) أجأ ـ جبل في نجد كانت قبيلة طيء تسكن بينه وبين جبل سلمى. ما ترام ـ أي من الصعب طلبك والوصول اليك .

(٣) الخزامى ـ نبت زهره من أطيب الأزهـار . الثمام ـ نبت ضعيف لا يطول .

(٤) الشلو ـ العضو والجسد من كل شيء ، وكل مسلوخ أكل منـه شيء وبقيت منه بقية ، والجمع أشـلاء . النبع ـ شجر تتخذ منه السهام والقسي . البشام ـ شجر طيب الرائحة تتخذ عيـــدانه لإخراج مـا دخل بين الأسنان من طعـــام .

(٥) قذى العين ـ هو الرمص . النواصي ـ جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس اذا طال . ثغام ـ شجر ابيض الزهر .

لو تحرّكتَ كذا لَانْـجَـفَلَتْ منـك نَعـامُ [1]

وظِبـاءٌ مُخْصِبات ... وَيَرابيعُ عِظـامُ [2]

أنا ما ذَنْبِيَ إنْ خا ... لَفَنِي فيكَ الأنامُ ؟ [3]

وأتتْ منـك سَجايا ... نَبطِيّاتٌ لِئـامُ [4]

وقفاً يحلِفُ أنْ مـا ... عرّقتْ فيك الكرامُ [5]

ثم قالـوا : جـاسِمِيٌّ ... من بَنِي الأنباطِ خامُ [6]

كذبوا ، ما أنتَ إلّا ... عربيٌّ مـا تُضـامُ [7]

---

(١) لو تحركت كذا – لعله أراد حركة خاصة كالهز أو القفز ....
إنجفلت النعامة أي هربت مسرعة لأن خلقتك عجيبة .

(٢) الظباء – جمع ظبية أنثى الغزال . مخصبات – المخصبة التي اصابت مرعى خصباً . يرابيع – جمع يربوع – نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين .

(٣) الأنام – الخلق .

(٤) السجايا : جمع سجيه أي الطبيعة والخلق . نبطيات : نسبة الى النبط وهم نوع من العجم كانوا ينزلون الكوفة والبصرة وبلاد الشام ثم استعمل في اخلاط الناس وعوامهم .

(٥) عرق – بتشديد الراء – أي صار عريقاً في الشرف . وهو يقصد ان مظهر قفاك دون وجهك يقسم بأنك لست من عرق كريم .

(٦) جاسمي – نسبة الى قرية جاسم – من بلاد الشام – مسقط رأس أبي تمام .

خام – في اللسان [الخام جمع خامة وهي من الزرع اول ما ينبت على ساق واحدة ، وقيل هي الشجرة الغضة الرطبة ، والخام من الجلود ما لم يدبغ] ولعله استعار الشجرة الغضة تشبيهاً له بفتوته وشبابه من بني الانباط .

(٧) ما تضام – ما ينتقص منك ولا يظلمك أحد .

بيتُـهُ ما بينَ سَلْمَـى وَحَوالَـيْهِ سِـــلامُ[1]

ولـــه من إرْثِ آباءٍ (م) قِسِـــيٌّ وسِـــهامُ[2]

ونخيــلٌ باسِـــقاتٌ قـد دَنا منها صِرامُ[3]

أنتَ عنـدي عَرَبِيٌّ عَـــرَبِيٌّ والسَّـــلامُ

أما القصيدة الثانية في هجاء أبي تمـــام فقد جعلها مخلد من بحر [الرَّجَز] لتكون أخف في اللفظ واسهل حفظاً . ثم[4] صرَّع ابيات الأرجوزة ـ أي جعل أشطر الأبيات كلها على قافية واحدة ـ وقد قصد أسلوب التصريع في الهجاء لِيُدِلَّ على المهـارة وقوة الطبع وغزارة الـثروة اللغوية ، وليـكون الإيقـــاع اقرب الى التصفيق والترقيص لو أنشدها الإنسان .

---

(١) سلمى – جبل في نجد كانت قبيلة طيء تسكن بين جبلي أجأ وسلمى. سلام – بكسر السين – شرحها محققو كتاب أبي تمام بأنها الحجارة واحدتها سلمه . ولعلها بفتح السين وهي اقرب في المعنى ، جاء في اللسان [السلام – بفتح السين – نوع من الشجر واحدته سلامة ، وبكسر السين : نوع آخر من الشحر واحدته سلمة – بفتح السين واللام ... وزعموا ان السلام ابداً اخضر لا يأكله شيء ، والظباء تلزمه وتستظل به ولا تستكن فيه وهو ليس من عظام الشجر] ومن سياق معنى البيت وما جاء في اللسان نجد أن الكلمة هي [سـلام] بفتح السين أي الشجر الاخضر . ويقصد الشاعر اشجاراً خضراء تحيط جبـل سلمى لا الصخور الجرداء . وبين سلمى وسلام جناس من علم البديـع .

(٢) قسي – جمع قوس وهي آلة على شكل نصف دائرة ترمي بها السهام.

(٣) الباسقات ـ العاليات . دنا ـ قرب . الصرام ـ اوان إدراك النخل.

(٤) صرع – في اللسان [التصريـع في الشعر تقفية المصراع الاول ... والتصريـع في الشعر يدل على أن صاحبه مبتدىء إما قصة أو قصيدة] .

ويعلّل ابن رشيق تصريع الأبيات بقوله[1] [وسبب التصريع في الشعر مبادرة الشاعر القافية لِيُعْلِمَ من أول وَهْلَة أنه اخذ في كلام موزون غير منثور ، ولذلك وقع في أول الشعر . وربما صرّع الشاعر في غير الإبتداء ، وذلك اذا خرج من قصة الى قصة أو من وصف شيء الى وصف شيء آخر ، فيأتي حينئذ بالتصريع إخباراً بذلك وتنبيهاً عليه . وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريع ، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة ، إلّا انه اذا كثر في القصيدة دل على التكلّف إلّا من المتقدمين ....] .

فمخلد جعل قصيدته من هذا الوزن والإيقاع لأنه يهجو شاعراً فحلاً وهو يريد العبث والهزل والسخرية ولا يريد الجد . فأنت لو قرأت وصفّقت بيديك أو مسكت طفلاً ورقّصته لوجدت تناسباً تاماً بين إيقاع الشعر والتصفيق والترقيص .

ثم ماذا فعل مخلد ؟ انه بدأ بوصف حالة الأعرابي في البادية وما كله ومشربه وحياته الخشنة فيقول له : لو اختطفت وَبْرَةً - وهي دويبة على قدر السِنّور - واختطفت ضَبّاً ، ومصصت اليَرْبُوع نيّاً صُلباً والحنظل غضّاً رطباً ، ولم تذق ماءً بارداً عذباً . وبُلْتَ بولَ جملٍ هبَّ للسِفاد ، ولم تطلب من المال غير الإبل ، ثم قعدت القُرفصاء منكبّاً كأعرابي الصحراء ، ولم تدخل إيواناً في دار لأن الاعرابي يحب الصحراء الواسعة ويكرب نفسه سكنُ الدور . ولو نكحت بالشام من العرب الكرام : حِمْيَراً وكَلْباً وقيسَ عَيْلانَ ، حيث لها الأمر والنهي لا حيث النسب الجديد يصبح عبداً ويمسي سيداً . ثم اتخذت صنم اللّات

(١) العمدة جـ ١ ص ١٥٠

ـ اشارة الى اتهامه بالكفر ـ فينا ربّاً ، وصرت تتعاظم في لغتك فتقول للقُطن عُطباً ـ وهو القطن نفسه ـ وتقول : للحمار البليد جملاً ضخماً . فأنت لو قمت بكل هذا ما كنت إلا نَبَطِيّاً قُحّاً من انباط الشام ، ينقُر الصخر ليسيح الماء فيشرب النبات وينبت الحب والشجر ـ وهذا من عمل الانباط وقد سُمُوا نَبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرض ـ وبذلك هيّجت مني شاعراً ثابتاً يُدير في فمه سيفاً قاطعاً ، وهو مدّاحٌ شتّامٌ يقطع أعراض اللئام قطعاً .

وهذا الاسلوب الذي سار عليه مخلد هو الذي اجبر أبا بكر الصولي بأن يعترف بأنه (فَنٌّ) في الهجاء ـ وهو فنّ الكاريكاتير ـ على الرغم تعصّبه الشديد لابي تمام وغمزه لكل من هجاه أو تعرض له .

والقصيدة هي[1] :

لَوْ امْتَخَطتَ وَبْرَةً وضَبّاً

وامْتَشّتَ اليَرْبُوعَ نيّاً صُلْبا[2]

---

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٣٦ .

(٢) امتخط ـ فسرها محققو الكتاب بمعنى [استنثر] أي انزل المخاط من انفه . وأرى انها بمعنى [اختطف]. في اللسان [امتخط الشيء اختطفه] إذ لا معنى أن يمتخط وبرة وضباً من انفه ولو أنه اراد الهجاء ، ولعله اراد ، لو اختطفت وبرة وضباً . وهذا اقرب لواقع الحال . الوبرة ـ دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء . الضب ـ حيوان من الزواحف ذنبه كثير العقد . إمتش ـ امتش اليربوع اي مصه ممضوغاً ، والفعل [مش] ، والفعل المضعف الثلاثي اذا اتصل بضمير رفع متحرك يفك إدغامه فكان الواجب ان يقول : إمتششت ، لكنه حفاظاً على الوزن لم يفك الإدغام ، والشاعر يجوز له ما =

وامْتَصّتَ الحَنْظَل غَضّاً رَطْبا
ولم تَذُقْ ماءً نُقاخاً عَذْبا[1]

وبُلْتَ بَوْلَ جَمَلٍ قَدْ هَبّا
ولم تَرُمْ إلّا الجمالَ كَسْبَ[2]

ثُمّ قَعَدْتَ القُرْفُصا مُنكَبّا
تَحْكِي عَرابِيّ فَلاةٍ قَلْبا[3]

= لايجوز لغيره حرصاً على الوزن وبخاصة في بحر الرجز . اليربوع – نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين .

(١) امتصت – اصلها امتصصت – بفك الإدغام – وقد حدث في هذا الفعل ما حدث بالفعل امتشت . الماء النقاخ – البارد العذب الصافي الخالص .

(٢) هب الجمل يهب – بكسر الهاء – أراد السفار . لم ترم – لم تطلب .

(٣) القرفصا – اصلها القرفصاء – حذف الهمزة لضرورة الشعر . والقرفصاء أن يجلس الرجل على ركبتيه ويلصق بطنه بفخذيه فينكب على وجهه . تحكي – تشابه . عرابي فلاة – الفلاة هي الصحراء . وعرابي ليست نسبة الى عربي أو اعرابي ولو جعلناها [عربي أو اعرابي] لتغيرت التفعيلة [مستفعلن] . ولعل صوابها [غرابي] – بالغين المضمومة – جاء في اللسان [اسود غرابي] أي شديدالسواد ... وأغربة العرب سودانهم ، شبهوابالأغربة – جمع غراب – في لونهم ، والأغربة في الجاهلية : عنترة ... وتأبط شراً والشنفري] فلعل الشاعر أراد انه يشبه الأعرابي الغرابي الاسود في الصحراء ، ووجه الشبه اثر الخشونة وقسوة الحياة وشدة الحرارة جعلته يحترق ويسود ، وبذلك حذف الموصوف وابقى الصفة .

إنْ دَخل الإيوانَ صاحَ الكَرْبَا

حتّى يَحُلَّ جَعْجَعاناً رَحَبَا[١]

ولو نَكَحْتَ حِمْيَراً وكَلْبَا

وقَيْسَ عَيْلَانَ الكِرامَ الغُلْبَا[٢]

بالشّامِ حيثُ زَجْرُهَا يُلَبّى

لاحيثُ أضْحى النَّسبَ المُرَبّى[٣]

يُصْبِحُ عَبْداً ويروحُ رَبّاً

ثم اتّخذتَ اللّاتَ فِينا رَبّا[٤]

ولم تُسَمِّ القُطْنَ إلّا عُطْبَا

وقلتَ لِلْعَيْرِ البليدِ حَوْبَا[٥]

---

(١) جعجعان – الجعجاع – المكان الضيق الخشن . الكرب – الضيق والحزن . الرحب – الواسع .

(٢) الغلب – جمع اغلب وهو الغليظ الرقبة وفي اللسان [يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها] .

(٣) الزجر – المنع والنهي . المربي . المهذب وربى الولد غذاه وجعله يربو .

(٤) يروح – يرجع في المساء . الرب – في الشطر الأول بمعنى السيد وفي الشطر الثاني إسم من اسماء الله . اللات – صنم كانت تعبده بعض القبائل ، وهو يشير الى اتهامه بالكفر .

(٥) العطب – بالضم وبضمتين هو القطن . العير – الحمار . الحوب – الضخم من الجمال وسمي الجمل حوباً بزجره .

مــا كنتَ إلّا نَبَطِيّاً قَلْبَـا
لَوْ نَقَرَ الصّخرَ أفاضَ غَرْبَا[1]
حتى يُسيحَ للنباتِ شِرْبَا
ويُنْبِتَ الحَبَّ به والقَضْبَا[2]
هيَّجتَ منّي شاعراً أَرَبّا
يُديرُ في فيهِ حُساماً عَضْبَا[3]
مُهنّداً مدّاحةً مِسَبّا
يَلْحَبُ أعراضَ اللئامِ لَحْبَا[4]

ثم يعلّق الصولي في نهاية القصيدة بقوله[5] : [وهذا الفن قد سُبق

(١) النبط – في اللسان [النبط جيل من الناس ينزلون سواد العراق .. ونبيط اهل الشام وفي رواية انباط الشام ... وإنما سموا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الارضين – لانهم كانوا يشتغلون بالزراعة وعمارة المدن] .
الغرب – بسكون الراء – الراوية التي يحمل عليها أو الدلو العظيمة .

(٢) يسيح – ساح الماء جرى على وجه الارض وأساح الماء جعله يجري .
القضب كل شجرة طالت وبسطت اغصانها

(٣) أرب – رب وأرب بمعنى جمع ولزم واقام وزاد . وفي اللسان [رب بالمكان وأرب اي لزمه وأربت الإبل بمكان كذا اي لزمته واقامت به].
الحسام العضب – السيف القاطع .

(٤) المهند – السيف المطبوع من حديد الهند . مداحة – صيغة مبالغة من المدح وزيادة التاء لتأكيد المبالغة في المدح . المسب – كثير السب والشتم ، صيغة مبالغة . يلحبه لحباً – يؤثر فيه تأثيراً كبيراً ، وفي اللسان [رجل ملحب – بكسر الميم – اذا كان سباباً بذيء اللسان] .

(٥) اخبار ابي تمام ص ٢٣٨ وسنذكر القصيدتين وشرحهما في موضع آخر .

مخلد اليه ، قال ابو نُواس في أبي خالد الفارسي - ثم يذكر القصيدة - وقد سُبق ابو نواس ايضاً الى هذا - ويذكر قصيدة حَمّاد عَجْرَد -] .

ثم يستمر مخلد في هجاء أبي تمام ويقول له[1] :

يا نَبيَّ اللهِ في الشِّعْرِ (م) ويا عيسى بنُ مَرْيَمْ
أنتَ من أشعرِ خَلْقِ اللهِ (م) ما لمْ تَتَكَلَّمْ

وكان ابو تمـام اسمر اللون طويلاً في لسانه تَمْتَمة . ويقول ابن رشيق وقد روى هذين البيتين[2] (وكانت في حبيب حُبْسَةٌ شديدة اذا تكلم) وحبيب اسم أبي تمـام .

ويقول الصولي[3] : أنشدني ابو جعفر مولى آل سليمان بن علي لمخلد في أبي تمـام :

أُنظُرْ اليـــه والى خُبْثِه كيفَ تَطايا وهو مَنْشور[4]

(١) اخبار ابي تمـام ص ٢٤١ .

(٢) العمدة جـ ١ ص ٩١ .

(٣) اخبار أبي تمام ص ٢٣٦ .

(٤) تطايا – هذه الصيغة اذا كانت بوزن [تفاعل] من الفعل [طوى يطوي] لانه اتى معها بكلمة [منشور] – وهذا من الطباق في علم البديع – ومن معاني هذه الصيغة إظهار ما ليس في الباطن – فيجب ان تكون [تطاوى] لان في الفعل واواً اصلية ، واذا اخذ الفعل من اسم القبيلة [طيء] فأصل الفعل [طاء يطوء] وليس طوى يطوي وبذلك تكون الكلمة [تطاءى] . في اللسان [طاء في الارض يطوء اي ذهب والطاءة الإبعاد في المرعى ... ومنه اخذ طيء مثل سيد ابو قبيلة من اليمن فأما قول من قال إنه سمي طياً لانه اول من طوى المناهل فغير صحيح في التصريف] وفي كلتا الصيغتين [تطاوى وتطاءى] يستقيم الوزن والمعنى . وأرى ان في الكلمة تحريفاً .

ثم على طاقِ شَخِيتِ القُوى ... نِسبتُه واللّؤمُ مَضفور[1]

ويلَكَ مَنْ دلّاكَ في نِسبةٍ ... قلبُكَ منها الدَّهرَ مَذعورُ[2]

لو ذُكِرَتْ طاءٌ على فرسخٍ ... أظلمَ في ناظرِكَ النُّورُ[3]

ولما توفي ابو تمام رثاه مخلد بهجاء، فقال[4]: وهو من الهجاء المُقذِع:

سَقَتْ حتارَكَ يا طائيُّ غادِيَةٌ

من المَنِيِّ وقُطعانٌ من الكَمَرِ[5]

---

(١) الطاق – ما عطف من الابنية . الشخيت – النحيف الجسم ، الضئيل . مضفور – اسم مفعول من ضفر وضفر الحبل فتله ، وضفرالشعر نسج بعضه على بعض عريضاً. اي ان نسبته مبنية على شيء واه . واستعارالضفر للؤم .

(٢) مذعور – خائف .

(٣) الطاء – هي اول حروف كلمة [طيء] . الفرسخ ثمانية كيلو مترات تقريباً .

(٤) اخبار أبي تمام ص ٢٤٠ . وقد روى ابو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني ج ١ ص ٢١٤ – البيت الاول والثالث وترك الثاني ، معتبراً هذين البيتين من جيد الهجاء .

(٥) الحتار – بفتح الحاء – كما جاء في اللسان ، وبكسر الحاء كما جاء في القاموس – هو حلقة الدبر اوما بينه وبين القبل او الخط بين الخصيتين .

الغادية – السحابة تنشأ غدوه – اي بكرة – او مطرة الغداة . المني – ما يخرج من ذكر الرجل عند الجماع . قطعان – جمع قطيع وهو الطائفة من الغنم وسواها . الكمر – بفتحتين – في القاموس : جمع كمرة – بالفتح – وهي رأس الذكر .

فَـنَوْءُ جُرْدانَ أشهَى لا أُشكُّ بهِ
الى حتا رِكَ من نَوْءَينِ من مَطَرِ [1]
حرُّ الحُلاقِ وبَرْدُ الشِعر أتلَفهُ
فجاءَهُ الموتُ من حرٍّ ومن خَصَرِ [2]

(١) النوء – المطر . جردان – في القاموس : هو قضيب ذوات الحوافر أو عام . – أي كل قضيب – والجمع جرادين . ويقصد بنوء جردان : مني الذكر . والمحققون لم يشرحوا البيت .

(٢) الحلاق – بضم الحاء – في اللسان [الحلاق في الأتان - أنثى الحمار - التي لا تشبع من السفاد ولا تعلق مع ذلك – أي لا تحبل –] الخصر - البرد .

مخلد الموصلي وأبو بكر الصولي

لابدّ لنا من وقفة مع أبي بكر الصولي ، المتعصب لأبي تمـام والذائد عنه ، والمهاجم لكل من تعرّض له أو نقده أو هجاه .

فالصـــولي تحدث عن هجاء مخلد لأبي تمـــام ، وذكر له قصيدتين ـ شرحناهما ـ وذكر له بعض ابيات متفرقة ، لكنه كلما ذكر مخـلداً كان يأتي برواية تطعن فيه ، حباً بالدفاع عن أبي تمام وانتقاصاً من شان مخلد .

وللنقاد المحدثين ودارسي النقد الأدبي عنـد القدامى ، رأي في أبي بكر الصولي ونقده ومنهجه وتعصبه لأبي تمـــام ومدى صدق رواياته والإعتماد عليها فيما يخص أبا تمام ومن خالفه وهجاه .

ولعل من ابرزهم الدكتور محمد مندور في كتابه [النقد المنهجي عند العرب] . يقول الدكتور مندور في الحديث عن إتهام أبي تمـام بالكفر ودفاع الصولي عنه[١] [وكتب النقد التي بين ايدينـا لا تحمل أي صدى لهذه التهمة التي لم نجدها إلّا عند الصولي الذي يريد أن ينتصر لأبي تمـام بكل الوسائل وأن يجرح خصومه بكافة الوسائل] ، وهو يريد أن الصولي قد اصطنعها للدفاع عن أبي تمام ليس غير .

وبعد أن يتحدث الدكتور مندور عن غرور الصولي وعن نسبتـه

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٦١ .

الجهل الى العلماء والنقّاد يقول[1] : [وتلك هي روح الصولي الثقيلة في كتابه (اخبار أبي تمام) ، وفي هذا ما يدعونا الى الإحتياط في قبول اقواله ، لأن الغرور قد افسد عليه أمره . ومن ثَمّ كنا أَمْيَلَ الى أن لا نعلّق قيمة كبيرة على تحمّسه لأبي تمام وقدحه في خصومه] .

ثم يقول[2] : [وأما الصولي فهو في الحق المتعصب المُغْرِض ، وإنه وانْ يكن في كتابه ما يدل على إنحيازه للشعر الحديث عن ذوق فني خاص ، فإن الذي يبدو هو ان مناصرته لأبي تمام كانت اقرب الى اللجاجة والإسراف منها الى النقد الموضوعي الدقيق . ويزيد الحكم عليه قسوةً إفراطه في الغرور والتبجُّح بعلمه ثم فساد ذوقه وصدوره عن نظرة شكلية يغرّها البَهْرَجُ وتطرب للغريب] .

ولنرجع الى ما يقوله الصولي عن مخلد الموصلي :

يقول الصولي[3] : [حدثني ابو سليمان النابلسي قال : قيل لأبي تمام : قد هجاك مخلد فلو هجوته ؟ قال : الهجاء يرفع منه ، قيل اليس هو شاعراً ؟ قال : لو كان شاعراً ما كان من الموصل . يعني ان الموصل لم تُخرِج شاعراً . قال ابو سليمان وأصل مخلد من الرُّحبَة ثم أقام بالموصل] .

فالصولي يذكر هذه الرواية ويفسرها هو أو يفسرها الراوي بقوله (يعني ان الموصل لم تخرج شاعراً) ثم يزيد عليها رواية أبي سليمان بأنه من الرّحبة .

(١) المصدر السابق ص ٦٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .
(٣) اخبار أبي تمام ص ٢٣٤ .

والصولي يجزم بأن الموصل لم تخرج شاعراً ، سواء أكان هذا الرأي رأيه أم رأياً رواه ، وهـذا حكم غريب جداً من ناقد كالصولي . ولعل أبا تمام ـ إن صدقت الرواية ـ كان يقصد ان الموصل لم تُخرج شاعراً على ذوقه وهواه وسلوكه لتطمئن اليه نفسه . وآراء الشعراء في بعضهم تخضع للأهواء والمشتهيات . والطراز الذي يريده ابو تمام من الشعر والشعراء كان بعيداً عن مدينة الموصل وقتئـذ ، لكن الصولي قَبِلَ الرواية ولم يناقشها وقبل رواية أبي سليمان وابعد مخلداً عن الموصل .

والموصـل أنجبت شعراء كثيرين منهـم الذين ذكرناهم في (ص ٣١) وروى لهـم ابو زكريا الأزدي القصائد الطوال . والموصـل بلد عربي يسكنه الألوف من العرب على اختلاف قبائلهم ، وفيها حركة علمية وفقهية وادبية ـ كما تحدثنا عنها ـ فكيف ينعدم الشعر في عرب هذه المدينة والشعر من طبـاع العربي[١] (وروي عن النبي صلى الله عليـه وسلم بأنه قال : لا تدعُ العربُ الشعر حتى تدعَ الإبلُ الحَـنِـينَ) ؟ ؟ وقد كثر الشعراء في هذه المدينة بعد هذه الفترة ، حتى إن أبا منصور الثعالبي ٤٢٩ـ١٠٣٧م عند حديثـه عن شعراء الاقاليم في كتـابه (يتيمة الدهر) خصّ البـاب العاشر منه في[٢] (شعراء الموصل وغُرَرُ اشعارهم) .

ثم يقول الصولي[٣] [وكان ابو تمام لا يجيب هاجياً له ، لأنه كان

(١) كتاب : في علمي العروض والقافية ص ١٢ . الحنين : الصوت عن طرب أو حزن .

(٢) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ١٠٣ .

(٣) اخبار أبي تمـام ص ٢٤١ ــ الشقشقة ــ شيء كالرئة يخرجه البعـير من فيه اذا هاج ، وهي كناية عن هيجانه وهذره . أجتديه ــ اطلب عطاءه .

لا يراه نظيراً ولا يشتغل به . حدثني ابو العشائر الازدي الشاعر قال : حدثني أبي قال : قلت لابي تمام : ويحك قد فضحنا هـذا الموصلي بهجائك فأ جِنْبهُ ، قال : إن جوابي يرفع منه ، واستدرُّ به سَبَّه ، واذا امسكت عنه سكتت شِقْشِقَتُه ، وما فيَّ فضل مع هذا عن مدح من أ جْتَدِ يه] .

والدكتور مندور ينقل هـذه الرواية ويعلّق عليها بقوله(١) [وفي هذا ما قد يُشعر بأن أبا تمام كانت فيه مواضع ضعف لعل منها نسبهُ] ، والمعروف ان مخلداً الموصلي كان في هجائه منصبّاً على اصل أبي تمام ونسبه وسلوكه ولا يستطيع ابو تمام ان يهجو ويدافع عن نفسه .

والغريب في الأمر ان ابن رشيق ٤٥٦هـ ـ ١٠٦٣م وهو من ابناء القيروان في تونس يقول(٢) [وابو تمام هجاه دِعْبِلُ ـ الخُزاعي ـ وغيره من الأكْفَاء فجاو بهم وابتـدأ بعضهم ولم يلتفت ألى مخلد بن بَكّارِ الموصلي حين قال فيـه [وكانت في حبيب حُبْسَة شديدة اذا تكلم] :

يا نَبيَّ اللهِ في الشِّعْرِ (م) ويا عيسى بنُ مَرْيَمْ
أنتَ من أشعرِ خلقِ اللهِ (م) مـا لَمْ تتكلّمْ

وقال فيـه أشعاراً كثيرة منها : (ثم ينقل الأبيات الثلاثة التي شرحناها وأولها :

أنظرْ اليه والى خُبْثِه كيف تطايا وهو منشورُ

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٦٢ .

(٢) العمدة جـ١ ص ٩١ .

بل رآه دون المهاجاة والجواب ، ولو هجاه لشرفت حاله و نَبُـهَ ذكره] . فكيف جاز لابن رشيق وهو ناقد أدبي معروف ان ينقل هذه الرواية ويعلّق عليها وهو لم يدرس ظروف مخلد ولا يعرف من هو ولم يطلع على الشعر الذي هجاه به ولا سبب هجائه ، وبين ابن رشيق وبين أبي تمام ومخلد اكثر من قرنين كاملين وابن رشيق في القيروان ومخلد في الموصل ؟

هذا وغيره يحتّم علينا عند دراسة الأدب العربي وآراء النقّاد أن نقف طويلاً وطويلاً عند رواياتهم واحكامهم ، ولكل جواد كَبْوَةٌ وكَبَواتٌ .

ثم لا يكتفي الصولي بهاتين الروايتين بل يجرّد مخلداً من فضل السبق في نظم الشعر الهزلي الساخر (الكاريكاتير) . هذا الشعر الذي اعترف به الصولي نفسه بأنه (فنّ) بعد ان نقل القصيدتين اللتين تحدثنا عنهما فيقول[١] : [وهذا الفن قد سُبِقَ مخلد اليه ، قال ابو نواس في أبي خالد الفارسي ، وخرج الى البدو شهرين فصار (نُمَيْرِيّاً)[٢] وعاد فانكر (المَيازِيبَ)[٣] فقال : ما هذه الخراطيم التي لا أعرفها ؟ فقال فيه ابو نواس[٤] :

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٣٨ .

(٢) نميرياً – نسبه الى نمير بن عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانيين .

(٣) الميازيب – جمع ميزاب وهي القناة التي يجري فيها الماء مثل ميازيب السطوح .

(٤) اخبار أبي تمام ص ٢٣٩ .

يا راكبـاً أقبـــلَ من ثَهْمَدِ
كيفَ تركتَ الإبْلَ والشّاءَ ؟[١]
وكيفَ خلّفتَ لِوَى قَعْنَبٍ
حيثُ ترى التُّنومَ والآءَا ؟[٢]
جـــاء من البَدْوِ أبو خـــالدٍ
ولم يزلْ بالمِصْرِ تَنّـــاءَ[٣]
يعرفُ للنـــارِ أبو خـــالد
سِوى إسمِها في الناسِ ، أسماءَ[٤]
إذا دعـا الصاحبَ يَهْيَـا بـــهِ
ويُتْبِـعُ اليَهْيـاءَ يَهْيـــاءَ[٥]

---

(١) ثهمد – أكمـة ، تل في بلاد خثعم من اليمن . الابل – بكسر الباء وسكونها هي الجمال . الشاء – جمع شاة .

(٢) اللوى – ما التوى من الرمل – القعنب – اسم مكـان . التنوم – شجر له ثمر من النبات الطبي (قاموس) . الآء – ثمر شجر واحدتها آءة .

(٣) المصر – البلد . تناء – صيغة مبالغة من الفعل تنـأ بالمكان أي اقام والتناء المقـــيم .

(٤) المعنى انه يعرف للنار اسمــــاء كثيرة سوى كلمــــة (النار) التي يعرفهـا النـــاس .

(٥) يهيا – في القاموس (يهيا بالإبل ، قال لها : ياه ياه ... وياهياه أي أقبـلي . و يهيـا من كلام الرعاة) ويقصد انه اذا دعا صاحبه يصيح به كراعي الإبل الذي يردد صوته عند زجر الإبل .

لو كنتَ من فاكهةٍ تُشتَهى
لِطيبِها كنتَ الغُبَيْراءَ[1]
لا تَعبرُ الحلْقَ الى داخلٍ
حتّى تَحسّى فوقَها الماءَ[2]

ثم يستمر الصولي بعد قصيدة أبي نُواس فيقول[3] : [وقد سُبق أبو نواس ايضاً الى هذا . حدثني مُسَبِّحُ بن حاتم العُكْلِي قال: حدثني يعقوب بن جعفر قال : أمر اسماعيلِ بن علي[4] لِحَمّادِ عَجرَدٍ بخمسة آلاف درهم ، فَمَطَلَهُ بها كاتبه محمد بن نوح ، فقال فيه حمّاد :

قال ابنُ نُوحٍ لي وقَدْ أظهرَ بعضَ الغَضَبِ
أنتَ الذي نَفَيْتَني في الشعرِ عن نُوحٍ أبي[5]
فقلتُ : لَا ، لا تَرْمِني منكَ بِمَحْضِ الكَذِبِ[6]

---

(١) الغبيراء — نبات .

(٢) تحسى — اصلها تتحسى حذفت إحدى التاءين لخفة اللفظ ، وتحسى الماء أي شربه شيئاً بعد شيء .

(٣) اخبار أبي تمام ص ٢٣٩ .

(٤) حماد عجرد هو حماد بن يحي بن عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة ، كثير التكسب بالشعر ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية إلا أنه اشتهر في أيام بني العباس ، وكان خليعاً ماجناً متهماً في دينه ، مرمياً بالزندقة وقد اكثر من هجاء الشاعر بشار بن برد وغيره — الاغاني ج ١٤ ص ٣٢١ .

(٥) نفيتني — دفعتني وأزلتني ونحيتني .

(٦) محض الكذب — الكذب الخالص الذي لم يخالطه الصدق .

وَيْحَكَ لم أفعلْ وإنْ كنتَ سَقِيمَ الحَسَبِ.[1]
لكنّني كنتُ فتىً عَلّامةً بالنّسبِ
فقلتَ لي: نوحٌ أبي فقلتُ: جاوِزْ بابِ[2]
فلمْ تجاوِزْهُ وفي ذلكَ بعضُ الرِّيَبِ[3]
فيا ابنَ نوحٍ يا أخا الـ(م) حِلْسِ ويا ابنَ القَتَبِ[4]
وَمَنْ نَشَا والِدُه بين الرُّبى والكُثُبِ[5]
يا عَرَبِي يا عَرَبِي يا عَرَبِي يا عَرَبِي

وقد ذكرت هاتين القصيدتين ليقارن القارىء بينها وبين قصيدتي مخلد في أبي تمام. ومقارنة الصولي مخلداً بأبي نواس وحمّاد عَجْرَدٍ في هذا الفن من الشعر الهزلي الساخر يجعله في مكانة مرموقة ولا يقلل من شأنه اذا أراد ذلك، لأن هذين الشاعرين في القِمّة من شعراء العصر،

---

(١) ويحك – ويح كلمة ترحم وتوجع وقيل انها بمعنى ويل، ويحك أي ويلك. الحسب – شرف الاصل ومفاخر الآباء.

(٢) جاوز بأب – أي تجاوز أباك وعدد لنا جدودك لأنك لا تعرفهم.

(٣) الريب – جمع ريبة وهي الشك والتهمة.

(٤) الحلس – كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل وما يبسط في البيت على الارض تحت الثياب والمتاع. ويقال: فلان حلس بيته أي ملازمه لا يبرحه وهو عندهم ذم كأنه لا يصلح إلا للزوم البيت. القتب – ما يوضع على ظهر البعير على قدر السنام. وهو يقصد أن ابن نوح أعرابي بدوي لا يعرف غير حياة البداوة.

(٥) نشا – أصلها نشأ، ابدل الهمزة الفاً لضرورة الشعر. الربى – جمع رابية وهي ما ارتفع من الارض. الكثب – جمع كثيب وهو التل الصغير من الرمل أوما اجتمع من الرمل وكان كومة كبيرة.

وبخاصة حمّاد عَجْرَد ، فقد كان من اكثر الشعراء تفنّناً في الهجاء ، لكن مخلداً جاء بشيء صعب في القصيدة الثانية وهو (التصريع) الذي شمل القصيدة كلها بحيث لا يحس القارىء بصناعة متكلّفة ثقيلة على النفس وهي توافق ايقاع التصفيق والترقيص ، وهذا ما زادها فناً وروعة .

ثم إن مخلداً لم يهجُ شخصاً من عامة الناس ولكنه يهجو أبا تمام الشاعر الذي له مكانته ومنزلته بين الشعراء . ومخلد كان يعلم مايقول ، ويعلم أي شخص يهجو ، لذلك تفنن وأتى بما يرتفع الى مستوى المهجو وهو ابو تمام .

بعد هذه المرحلة من النماذج والشروح ، نعود في خاتمة المطاف الى الاستاذ توفيق الحكيم ، لنطلع على رأيه فيما يعنيه الهجاء الكاريكاتير ـ ويسميه الكاريكاتور ـ ولندرك مدى نجاح مخلد بن بكار الموصلي في هذا الفن من الشعر . فالاستاذ توفيق الحكيم يشرح الهجاء الكاريكاتير في كتابه (فن الادب) بقوله[1] [إن في كل (كاريكاتور) نوعاً من الهجاء ، ولكن ليس في كل هجاء نوع من (الكاريكاتور) . إنك بالهجاء تريد أن تنال ممن تهجو بالحق وبالباطل ، بالحقيقة أو بالإفتراء دون أن تقصد في كل الاحوال أن تُثير فينا الضحك منه أو تظهرنا على مواضع فيه ، باعثة على العبث به والتّنَدُّر عليه . كل همك في الهجاء أن تُزري بخصمك وأن تطعنه في عزته وكرامته ومواطن رفعته وقوته .
أما في (الكاريكاتور) فإن غرضك الاول هو ان تبحث عن الغلطة

(١) فن الأدب ص ٣٢ .

المحسوسة في تكوينه الجسماني وان تُنَقِّبَ عن السقطة الملحوظة في تركيبه النفسي، وأن تفتش عن الخَلّة الممقوتة في طبعه الخلقي، حتى اذا عثرت على شيء من ذلك، وأنت لا شك واجد في اغلب الاحيان، بادرت الى قلمك أو ريشتك فقمت تُمعِنُ في تجسيم هذا العيب وتضخيمه وإبرازه على نحوٍ يجعله في نظر الرائي أو القارىء طاغياً على ما عداه من صفات، فلا يقع البصر أو الذهن إلّا على العيب وحده قائماً، كأنه هو الشخص كله، وليس للشخص سواه من قِوام أو كيان او وجود].

وهذا كل ما فعله مخلد في هذا الفن من الشعر .

استدراك

تابع لشرح البيت الثالث في صفحة [٦٤]

ب – سقطت الكلمة (في) حرف الجر – بين كلمتي (شجا ومجاري) فكسر البيت وتغير المعنى . وبذلك تكون العباره الصحيحة (شجاً في مجاري الروح) وتفعيلات الشطر من بحر الطويل هي : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن .

جـ – النفس ماسك – الماسك هـو المتعلق أو المعتصم بالشيء ، ولكن ما موقع كلمة (ماسك) من الإعراب اذا كانت كلمة (النفس) منصوبة كما شكلها المحقق ؟ فلا هي خبراً لـ (أن) في الشطر الأول لأن المعنى لا يدل عليها ولا هي صفة للنفس لا نها مذكرة مرفوعة والنفس مؤنثـة منصوبة ، ولا هي حالاً منها لا نها مرفوعة ولا هي خبراً لهـا لان النفس منصوبة معطوفة على (شجا) مفعول به .

ولعـل كلمة (النفس) محرفة أو مصحفة من كلمة أخرى تكون في محل رفع على أ نها مبتدأ و (ماسك) خبرها والواو حالية أو استئنافية . ولكن ما أصل الكلمة التي أرادهـا الشاعر ؟ لعلي استطيع أن اقول : إن اصلهـا [النعش] – بالعين – وهو سرير الميت كأن النعش قريب متعلق بهن كناية عن شدة الحاجة وقربهن من الموت وأظن هذا هو الصواب .

وبذلك يكون الشطر الثاني :

[شجا في مجاري الروح والنعش ماسك]

المـراجـع

١ ـ أخبار أبي تمام ـ لأبي بكر الصولي ـ تحقيق : خليل محمود عساكر وجماعته المكتب التجاري ـ بيروت .

٢ ـ الأغاني ـ لأبي الفرج الاصبهاني : مصور عن طبعة دار الكتب . من سلسلة تراثنا .

٣ ـ الأمالي ـ لأبي علي القالي البغدادي ـ مطبعة دار الكتب المصرية . الطبعة الثانية ١٩٢٦!

٤ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ للسيوطي ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤

٥ ـ تاريخ التمدن الإسلامي ـ جرجي زيدان . الطبعة الثالثة . مطبعة الهلال ١٩٢١

٦ ـ تاريخ الموصل ـ للشيخ أبي زكريا الازدي . تحقيق الدكتور علي حبيبة ١٩٦٧

٧ ـ دفاع عن الأدب . جورج ديهاميل . ترجمة الدكتور محمد مندور . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢

٨ ـ ديوان المعاني ـ لأبي هلال العسكري . مكتبة المقدسي ١٣٥٢ هـ .

٩ ـ سمط اللآلىء ـ للوزير أبي عبيد البكري . تحقيق الشيخ عبدالعزيز الميمني . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦

١٠ـ طبقات الشعراء ـ لأبي العباس عبدالله بن المعتز العباسي . تحقيق عبدالستار أحمد فراج . مطبعة دار المعارف بمصر .
١١ـ طبقات النحويين واللغويين ـ لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . الطبعة الاولى ١٩٥٤ مطبعة الخانجي.
١٢ـ العمدة ـ لإبن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . الطبعة الاولى . مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٤
١٣ـ فن الادب ـ توفيق الحكيم . المطبعة النموذجية ـ مصر .
١٤ـ فن التقطيع الشعري والقافية . للدكتور صفاء خلوصي . مطبعة المعارف ١٩٦٣
١٥ـ في علمي العروض والقافية . للدكتور أمين علي السيد . مطبعة دار المعارف سنة ١٩٧٤
١٦ـ القاموس المحيط . للفيروزابادي . القاهرة ١٩١٣
١٧ـ لسان العرب ـ لابن منظور . طبعة مصورة عن طبعة بولاق . من سلسلة تراثنا .
١٨ـ معجم الادباء ـ لياقوت الحموي . مطبوعات دار المأمون . من سلسلة الموسوعات العربية .
١٩ـ معجم البلدان ـ لياقوت الحموي . مطبعة دار بيروت وصادر ١٩٥٦
٢٠ـ معجم القاب الشعراء . للدكتور سامي مكي العاني . مطبعة النعمان ١٩٧١
٢١ـ من حديث الشعر والنثر ـ للدكتور طه حسين . الطبعة الاولى ١٩٣٦ مطبعة الصاوي بالقاهرة .

٢٢ـ ميزان الذهب في صناعة شعر العرب . للسيد احمد الهاشمي . الطبعة التاسعة . مطبعة السعادة ١٩٣٨

٢٣ـ النقد الأدبي ـ للأستاذ أحمد أمين . لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٥٢

٢٤ـ نقد الشعر ـ لابي الفرج قدامة بن جعفر . تحقيق محمد عيسى منون . الطبعة الاولى ١٩٣٤ . المطبعة المليجية .

٢٥ـ النقد المنهجي عند العرب ـ للدكتور محمد مندور . مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨

٢٦ـ الهجاء والهجاءون في الجاهلية ـ للدكتور • م • محمد حسين . مطبعة احمد مخيمر ١٩٤٧

٢٧ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ لابي الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني . تحقيق احمد عارف الزين . مطبعة محمد علي صبيح .

٢٨ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه ـ للشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني ـ الطبعة الثالثة . المطبعة الرحمانية ١٩٢٣

٢٩ـ يتيمة الدهر ـ لابي منصور الثعالبي . الطبعة الاولى . مطبعة الصاوي ١٩٣٤

المرجع الأجنبي

Reader's Digest - September 1964 p. 129.
Too many Shakespeares
By : Dora Jane Hamblim

الأخطـاء

اعتذار ورجاء ـ على الرغم من الحرص الشديد على إتقان الطبع بسبب كثرة التشكيل والتصحيح وسعة الشروح ، فقد حدثت أخطاء ـ يدركها القارىء ـ ومع ذلك نرجو الرجوع الى هذا الجدول عند الحاجة :

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
٣	١٢	نحلو	يحلو
١٠	٧	ارتياب	ارتاب
١١	٢	نقليدي	تقليدي
١٣	٤	اجتاح	احتاج
١٥	٩	الحاء	الخاء
٢١	١٠	الموصى	الموصلي ـ تكررت في ص ٣٣، ٦٩
٣٣	١٤	الثن	الثمن
٣٨	١٢	دُعاية	دُعابة
٤٠	١	يُعيب	يَعيب
٤٠، ٤٣	٤، ٣	من	في
٤٥	٢	خصٍّ	خصٌّ
٤٦	٤	استحسنها	استحسنهما

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٧	١٥	أبو هلاك	أبو هلال
٤٨	٢	دُورُ	دُرَرْ
٥١	١٢	الـقَلى	الـقِلى
٦٨	١٦	حذت	حذف
٨٢	١، ١٠	الوِساطة	الوَساطة
٩٠	١٥	ننفث	تنفث
٩١	٥	العبفرية	العبقرية
١٠٠	١٨	شعر العرب	أدب العرب
١٠٧	١٠	الرغم	رغم
١٠٨	١١	السفار	السفاد

الفهرس

كتب المؤلف

١ ـ معلم القرية .

٢ ـ البيت والمدرسة .

٣ ـ الطرق العملية لتدريس اللغة العربية .

٤ ـ شاعر المنارة ـ مخلد بن بكّار الموصلي .

٥ ـ دراسة في اللهجة الموصلية ومعجم الكلمات الفصيحة والكلمات الفارسية ـ مخطوط .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٣٥٢ لسنة ١٩٧٧

١٠٠٠/٣٠٤
١٩٧٧/٤/١٧

هذا الكتاب

من تراثنا الأدبي ، يتحدث عن شاعر موصلي عاش قبل مائتي والف سنة ، له مكانة عند نقاد الأدب القدامى ، ولكنه لم ينل حظاً من شهرة ، كان ثائراً على الظلم وعلى كل من يشذ عن أخلاق الرجال . وهو من أوائل من نظم في فن شعر الهجاء الهزلي الساخر المضحك (الكاريكاتير) وله مع الشاعر أبي تمام صحبة ودعابة وهجاء ، عندما جاء الى الموصل في آخر سنة من حياته .

الثمن ٤٠٠ فلس